ابراهيم نوار

كتاب الجمهورية

٤١











مختصر تاريخ العالم وكتب أخرى



الثمن ١٠ قروش

كتاب الجمهورية

العدد ٤١
اغسطس ١٩٧٢

مختصر تاريخ العالم وكتب أخرى

ابراهيم نوار

الغلاف بريشة : عبد الحليم البرجيني

مقدمة

يبدو اننا يجب ان نبتكر طريقة جديدة لحساب الزمن .. طريقة نستطيع بها ان نحسب عمر الاحداث ، وتطورات الحضارة ، ولا نقف عند مجرد احصاء الأيام والسنين .

ان العالم ، فى حساب الزمن ، يقف عند شهر معين من عام معين ، وأن الحضارة قطعت من عمر الزمن اربعة أو خمسة آلاف عام لتبلغ ما هى عليه الآن ، ولكن ماذا بشأن مراكز تجمع الانسان على تفاوت ما بينها من مراحل التقدم .. هل يمكن أن يقال انها ـ ككل ـ بلغت هذه السن ؟

ان الانسان يمر بمراحل نموه المختلفة فى سن معينة ، ولا عبرة بمرور الزمن اذا لم يحقق الانسان خلاله مظاهر هذا النمو .. اعنى أن الطفل اذا لم يمش فى سنته الأولى ، ولم يبدأ النطق فى سنته الثانية ، ولم يستكمل القدرة على النطق فى سنته الرابعة أو الخامسة ، واذا لم يصل الى مرحلة البلوغ فى الثانية عشرة او الثالثة عشرة ـ فانه يكون ناقص التكوين مهما يكن عدد السنوات التى قضاها من عمره ، فان العبرة لا تكون بسنوات العمر ولكن بالتطور الذى تحقق خلالها .

ومن هنا فاننا يمكن ان نجد شيخا فى العشرين .. وان نجد شابا فى الستين .

وما يحدث للافراد يحدث للشعوب أيضا .. فبينما بلغت شعوب مراحل تطورها الطبيعية فى سنوات وجودها ، نرى شعوبا لا تزال تحبو فى مدارج التطور حتى ليصعب أن يقال انها تعيش مع غيرها من الشعوب فى القرن العشرين ..

الزمن هنا يخطىء في حساب تطور مجتمع قبلى لا يزال يعيش فى سنوات ما قبل التاريخ .. يأكل اللحم نيئا .. يعيش على الصيد .. لا يعرف لغة مكتوبة .. ولا تحكمه قوانين .. وغاية ما بلغه من تطور مجموعة من العادات والتقاليد المتوارثة التى لا يتفق معظمها مع ما اصطلح عليه العالم المتحضر من أسس ونظم وقوانين ..

عسير أن يقال أن هذا المجتمع يعيش فى القرن العشرين بالفعل ـ هو فى حساب التطور مجرد مجتمع بدائى يعيش فى عصر من عصور ما قبل التاريخ بكل ما تتميز به هذه العصور من خصائص ومميزات .

الإنسان آكل لحم البشر لا يزال موجودا الى اليوم ، وهذه حقيقة مذهلة ، ينبغى أن نعيد هذا الانسان معها الى العصر الذى يعيش فيه وليس العام الذى تجتازه الحضارة فى أرقى المجتمعات ..

حساب الزمن يجب أن يبدأ بالنسبة لمجتمع ما ـ حيث تبدأ خطواته على طريق الحضارة ... وليس فرضا أن يعبر مراحل التخلف فى نفس العدد من السنين الذى اجتازته البشرية من قبل ، فهو بفضل خبرة المجتمعات الأخرى وتجاربها يستطيع أن يقفز عبر سنوات التخلف الى مراحل متقدمة يستطيع منها بمضاعفة الجهد أن يلحق بركب التاريخ ..

لكن ذلك لا ينبغى بحال أن يخفى عنا حقائق العالم الذى نعيش فيه .. انه يبدأ من عام ٢٠٠٠ ق.م فى مجاهل افريقيا ؟

الى عام ٢٥٠٠ ق.م فى مجاهل آسيا .. الى عام ٢٠٠٠ ق.م فى بعض المجتمعات الأكثر تقدما فى أفريقيا وآسيا واوستراليا .. الى أعوام أقرب الى الميلاد سنة بعد سنة حتى نجتاز المرحلة الفاصلة ونقترب من التاريخ أو نجتاز بدايته .. فى أفريقيا أيضا .. وفى آسيا .. وفى المناطق الصحراوية المنتشرة فى كثير من بقاع الأرض .. ثم تجىء مجتمعات بلغتها الحضارة متأخرة .. فلقيت أرضا خصبة فى بعض أجزائها .. وعرفت عن التقدم والازدهار فى أجزاء أخرى منها .. فاذا هى تجمع بين التقدم والتأخر ، وتحاول جاهدة أن تقضى على نواحى التخلف بها .. الهند الصينية .. وبعض دول افريقيا وشبه جزيرة العرب .. والمناطق القطبية فى أوربا وأمريكا .. ثم يقترب موكب الحضارة من دول الشمال الأفريقى .. والهند .. ودول أمريكا اللاتينية .. ثم دول جنوب أوربا .. والصين .. وبعض دول أمريكا اللاتينية .. ثم تجىء الدول التى ضربت فى الحضارة بسهم وافر .. المانيا واليابان والمملكة المتحدة وفرنسا ودول الشمال الاوربى ووسط أوربا حيث تصل الحضارة الى اقصى ذروتها .. وتصل الحضارة الى آخر خطواتها فى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة .. ممثلة فى آخر ما تفتقت عنه عبقرية الانسان أعنى غزو الفضاء ..

وحتى فى هذه المجتمعات المتحضرة فان الزمن لاينطبق على كل الناس بنفس المعدل .. ففى الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة ملايين لا تزال تعيش فى مرحلة متخلفة عن آخر ما بلغته تطورات الحضارة ..

ان الناس جميعا لا يعيشون فى ناطحات سحاب فى الولايات المتحدة الأمريكية .. ولا هم يعيشون بعقلية رواد الفضاء فى الاتحاد السوفييتى .. وفى البلاد العربية من يعيشون فى القرن

الســــادس الميــلادى .. وفى أوربا من يعيشــون فى القرون الوسطى ..

وحيث لا يزال النخاسون يمارسون تجارة الرقيق .. فان المجتمع الذى يعيشون فيه يجب ألا يتجاوز فى حساب الزمن القرن السابع عشر أو الثامن عشر على أحسن الفروض .. وحيث يعيش الهنود الحمر ، وحيث يعبد بعض الناس الأوثان أو النار ، وحيث يعيش الناس فى الكهوف .. أو فى بيوت من طين .. لا يعرفون الضوء .. ولم تصل اليهم أبسط مظاهر الحضارة .. فاننا نخدع الزمن أو نخطىء حسابه حين نضعهم معنا فى نفس الزمن الذى نعيش فيه ..

لكنهم على أية حال ، ليسوا فى حاجة الى آلاف السنين لكى يقطعوا مرحلة التخلف للوصول الينا .. انهم ليسوا فى حاجة الى أن يكتشفوا كل ما أكتشفته البشرية ، أو يخترعوا مخترعاتها من جــديد .. فكل أسباب المعرفة ميسرة لهم وعلى مدى جيــل واحد .. فى عشرين أو ثلاثين سنة يستطيع انسان متخلف نشأ فى مجتمع أكلة لحوم البشر أن يلم بتراث الحضارة كله ..

تستطيع الحضارة فى عشرين عاما أن تصنع من طفل مجتمع اكلة لحوم البشر بما تيسر له من أسباب المعرفة عالما ذريا أو رائد فضاء ، أو مكتشفا أو مخترعا .. لا يأخذ من الحضارة فحسب بل يضيف اليها ..

لو وضعت البشرية كل امكانياتها تحت تصرف البشر لأمكن أن تقطع المجتمعات المتخلفة فى جيل واحد أشواطا من التقدم تنقلهم الى مشارف الحضارة التى يعيشها بعض أجزاء المجتمع البشرى اليوم ..

* * *

سيطرت على هذه الفكرة ، وأنا أقلب صفحات من ملخصات كتب قدمتها الى القراء منذ سنوات طويلة .. عندما اخترتها آنذاك .. لم أكن أهدف الى أكثر من تقديم بعض الكتب التى يمكن أن تعنى الناس .. كتب متفرقة .. لا ترسم فى اتجاهاتها خطا معينا .. لكننى وأنا أعدها للنشر .. لم ألبث أن اكتشفت ، انها تكون وحدة فى الفكر ، ان تكن غير مقصودة بالارادة الظاهرة .. فقد كانت وراءها ـ فيما يبدو ـ فكرة سقطت فى اللا وعى ، وظلت هناك تعمل فى صمت على انجاز هدفها .. دون أن تكشف عنه ..

لماذا اخترت هذه المجموعة بالذات من الكتب ؟ لا أدرى .. ولكن القارىء قد يتفق معى فى أن ثمة رابطة تجمع بينها .. وان ظلت مختفية الى الآن .. من كتب هـ.ج. ويلز .. اخترت مختصر تاريخ العالم لارسم به ـ ربما ـ مسار الحضارة .. منذ نشأ الكون الى عصرنا هذا الذى نعيش فيه ..

ولقد مهد ويلز لكتابه ، عندما شرع فى اعداده ، بمقدمة قصيرة قال فيها ان القارىء قد يجد فيه ما يمهد له سبيل الاحاطة بتاريخ البشرية في حدودها العامة ، وما يمكنه من تنسيق معلوماته ، ووصل بعضها ببعض بحيث نخرج من ذلك كله بصورة ربما لا تكون مكتملة ، ولكنها كافية لتكوين فكرة عامة عن تاريخ البشرية ..

واذا كان « ويلز » يرى أن هذه الصورة هى أقصى ما يمكن أن نتطلع القارىء الى الالمام به ، فان مهمتى تبدو أكثر صعوبة .. فماذا يمكن أن يجد القارىء فى بضع صفحات تزعم أنها تحاول الاحاطة بتاريخ العالم أكثر من مجرد تخطيط لتاريخ العالم يمكن أن يسترشد به فى الحصول على المزيد من المعلومات من مصادرها .. وما أكثر هذه المصادر للباحث والدارس !

* * *

ثم يجيء بعد ذلك كتاب آخر لويلز أيضا هو « حقوق الانسان » .. ان الكتابين يكمل احدهما الآخر ، فتطور الانسان مرتبط بوجوده .. ووجوده مرتبط بحقوقه وواجباته ..

وويلز حين يناقش ميثاقه لحقوق الانسان يبدأ بالحرب العالمية الثانية يحلل احداثها ويتساءل عن أهدافها وغاياتها ، ثم ينتهي الى سؤال يوجهه الى رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الحين « نيفيل تشمبرلين » :

● **هل هذه الأغراض هي التي نقاتل ونريق دماءنا من جلها ؟..**
قل « أجل » .. أو فاذهب وافسح المجال لغيرك !

ويعرض مستر ويلز بعد ذلك لحقوق الانسان منذ أعلن الدستور البريطاني « العهد الأعظم » MAGNA CHARTA .

ثم يتحدث عن الثورة الفرنسية وعن مبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وعن عهد اليعاقبة ودور روبسبير ..

ومن خلال أبحاثه يستخلص ويلز أساسا جديدا لدستور جديد يحدد فيه حقوق الانسان من وجهة نظره ويجعل من هذا الدستور موضوعا لكتابه الذى نقدمه ضمن هذه المجموعة وهو « حقوق الانسان » .

اقول انه اذا كانت مصادفة أن يقع الاختيار على هذين الكتابين فان المصادفة تبدو كما لو كانت مرسومة حين تجيء ملخصات الكتب التالية مكملة لتاريخ العالم بشكل ما ..

واحد من هذه الكتب يتناول وصفا للحياة في روسيا ، أغرب ما فيه أن كاتبه أمريكي زار الاتحاد السوفييتي ودافع عن أسلوب الحياة هناك .. ومتى ..؟ في عهد ستالين الذى كان عرضة للنقد العنيف من جانب الغرب ومن الداخل فيما بعد عندما سقط نظام حكمه لتعقبه فترات مشرقة من الانفتاح على العالم .

واضطلاع الاتحاد السوفييتي بمسئولياته باعتباره احدى القوتين العظميين في العالم .

وكتاب آخر يعرض في اختصار سياسة هتلر طاغية المانيا من واقع « انجيله السياسي » الشهير « كفاحي » الذي يعد دستورا للنازية المتسلطة ومنهجا سياسيا التزم به هتلر وعمل على تطبيقه . وهو يقوم على أساس أن الجنس الجرماني هو سيد الاجناس ، وان الاجناس الاخرى تتدرج في مراتبها وفقا لقواعد عنصرية وضعها على أساس نظرية السادة والعبيد التي ابتدعها من قبله فيلسوف المانيا الأكبر نيتشة .

* * *

أما خامس هذه الكتب فهو لـ « ونيفريد جالبريث » ويتحدث فيه عن القوة الثالثة التي احتلت مكانها في عالم اليوم : اعني الصين .. بكل ما تمثله من قوى خارقة انطلقت من عقالها فجأة لتنافس الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على مكان الصدارة في العالم .



مختصر تاريخ العالم

تأليف : هـ . ج . ويلز

ها نحن نرجع بالقرون الى وراء عبر التاريخ الى ذلك الماضى السحيق .

وها نحن نحاول ان نقف .. ولا سبيل الى الوقوف .. وأن نتلمس البداية حيث لا بداية .. وحيث يتصل التاريخ فى حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر ..

ثم ها نحن أولاء نعود بالسنين جيلا بعد جيل .. وقرنا بعد قرن : الف سنة قبل الميلاد .. الفى سنة قبل الميلاد .. ثلاثة آلاف . أربعة آلاف . عشرة . مائة . الف . مليون . مليونين . عشرات بل مئات بل ملايين الملايين ..

ولكن لا سبيل الى حصر تاريخ ما قبل التاريخ ، فلنتجاوز عما نريده من التحديد ولنكتف بالقاء نظرة عامة على تلك الفترة التى يكتنفها الغموض من تاريخ العالم .

العالم فى الزمان والمكان

انفصلت الأرض كسائر الكواكب عن الشمس . ولو قيض لنا أن نراها اذ ذاك لرأينا كتلة ملتهبة لا حد لها تدور وتدور فى سرعة

تقصر دون متابعتها الرؤية .. تحيط بها هالة من الأبخرة والغازات اللافحة ، ثم تمر ملايين السنين قبل أن تهدأ حركتها وتتخذ شكلا معينا ويبرد سطحها وينكمش وتتساقط عليها أمطار غزيرة لا تلبث أن تتجمع فى الأودية السحيقة ..

وتسجل الصخور مراحل التطور على ظهر الأرض ـ خلال تلك الحقبة ـ بحفظ آثار الكائنات الدنيا التى شهدت بداية الحياة .

ويعتقد العلماء أنه بعد مرور بضعة آلاف من السنين على استقرار الأرض ، بدأت الحياة تتخذ شكلها المعروف وتظهر النباتات أولا ثم تتبعها الكائنات الدنيا ثم الحشرات والزواحف والطيور والثدييات الأولى ، ويصطخب سجل الصخور ببقايا الميراث الضخم الذى خلفته لنا كل الكائنات الاولية من عظامها وهياكلها وصورها وكل ما أودعته الأرض من آثارها ..

وتنتقل الحياة بعد ذلك الى عصر الثدييات ثم القردة ، ثم لا يلبث ان يظهر الانسان .

* * *

ولوجود الانسان على ظهر الارض قصص تختلف اختلافا كبيرا وفقا لما توصل اليه العلماء .. كل فى حدود معرفته واستنتاجاته والنظرية التى يفضل الأخذ بها . ويقارن مستر ويلز بين هذه النظريات ثم يخرج منها بنظرية النشوء والارتقاء يسوقها الى القارىء فى لهجة الواثق المؤمن بما يقول .. فالانسان عنده كسائر المخلوقات نشأ كائنا حقيرا تطور بمرور الزمن الى أكمل أنواع الكائنات ، وهو يتلمس الدليل على ذلك فيما وفق اليه بعض الباحثين من اكتشاف آثار كائنات وهياكل اشبه ما تكون بالانسان وأن كانت تنتمى الى بعض فصائل القردة الراقية .

الانسان الحقيقي

أين ظهر الانسان الأول ؟

وهل بدأ ظهوره فى مكان معين ثم انتشر بعد ذلك على ظهر البسيطة ، أم كان ظهوره فى أمكنة متعددة فى وقت واحد .

ذلك ما لا سبيل الى تحديده علميا وان كان الدين قد قطع فيه برأى يبدو أن مستر ويلز لا يفسح له مكانا بين صفحات كتابه ..

ولقد دلت الهياكل والعظام والاثار والحفائر المختلفة التى وفق الباحثون الى العثور عليها على أن الانسان الحقيقى الاول ظهر فى غرب أوربا وفى أسبانيا وفرنسا بنوع خاص ، ولكننا لا نستطيع أن نقطع بصحة هذا الرأى .. فهنالك مناطق شاسعة مجهولة لا يزال العلم قاصرا عن التوغل فى مجاهلها وكشف أسرارها ...

ويقول مستر ويلز أن آثار الانسان الاول تدل على أنه كان هناك جنسان مختلفان متمايزان منذ بدأ ظهور الانسان على سطح الارض ..

مبادىء التفكير

الواقع ان المرء لا يملك ان يتساءل : كيف كان شعور الانسان فى ذلك العهد ، وكيف كان يفكر ، وماذا كان يشغل ذهنه ، وكيف كان يعيش ..

لقد استطاع العلم الحديث أن يصل الى حقائق لا سبيل الى انكارها ، كما أن المقارنة بين الانسان الأول وقبائل الزنوج وغيرهم من الاجناس البشرية التى لا تزال تعيش على الفطرة تزودنا ببعض ما نتطلع الى معرفته عن الانسان الاول ...

كان هذا الانسان طفلا كبيرا في عقليته وتفكيره واتجاه نظرته الى الحياة : تسيطر عليه الخرافات والاساطير ، ولا يستطيع ان يربط بين الحوادث ، ولا يستقيم له التفكير الا بمقدار ، وهو بعد ذلك مسوق وراء اشباع غرائزه ورغباته يلتوى عليه التفكير احيانا لكنه يتحايل على الاستفادة من الظروف المعيشية التي يعيش في ظلها .

مبدا الحضارة

بدأت الحياة تتخذ شكلها المعروف ويسودها الاستقرار منذ سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة . وعلى الرغم من تعدد البيئات التي بدأ الانسان سعيه فيها للتغلب على قوى الطبيعة وتسخيرها فيما يذلل له سبل الحياة ويمهد لانتشاره في أصقاع الأرض ، فان أعظم الحضارات القديمة قد نشأت حيث يتوافر الخصب في وديان آسيا وفي وادى النيل . وفي ذلك العصر كانت مناطق شمال فارس وغرب تركستان وجنوب شبه جزيرة العرب اكثر خصبا مما هي عليه الآن . وثمة ما يدل على تكون مجتمعات منظمة في تلك البقاع في ذلك العهد . على أن أرقى تلك المجتمعات جميعا ظهر لأول مرة في جنوب « العراق » وفي مصر حيث ظهرت المدن والمباني ونظم الرى الدائمة وآثار التنظيم الاجتماعي .

المصريون والسومريون

وهناك في ذلك الجزء الطويل من الارض الذى يمتد بين دجلة والفرات ، اللذين كانا يصبان في الخليج الفارسى من مصبين مختلفين ، قامت حضارة السومريين بمدنها العظيمة وقصورها الفخمة ومعابدها وآلهتها . واصطنع السومريون طريقة خاصة للكتابة وكانوا يلبسون الصوف ويحلقون رؤوسهم ويأخذون

بالكثير من وسائل الحضارة بعد ان اكتشفوا المعادن وتوصلوا الى استخدامها فى الزراعة والصناعة وصنع آلات القتال .

وفى ذلك الوقت كانت حضارة قدماء المصريين العظيمة قد بلغت ذروتها وامتدت فيما يجاورها من البقاع .

الاشوريون

على أن الحضارة لم تقتصر على ذلك الجزء الصغير من أرض العراق الذى كانت تنتشر فيه المدن المستقلة التى يحتفظ كل منها بطابعه المميز وآلهته وحكامه ونظامه وتقاليده ، لا .. ولا على ذلك الوادى المرع الخصيب الذى يغذيه النيل بمياهه وغرينه .. بل كانت هناك مجتمعات صغيرة أخرى وان لم تبلغ ما بلغه المصريون والسومريون ، لكن لا سبيل الى اغفالها اذا ما أراد المرء أن يسرد تاريخ العالم . فقد كان الاشوريون يقيمون مدائنهم على ضفاف دجلة العليا ، وكانت ثمة مجتمعات أخرى تنتشر فى وديان آسيا الصغرى . وعلى شواطىء البحر المتوسط وفى جزره . كما يحتمل أن تكون حضارة الهند والصين قد سارتا فى ذلك العهد فى اتجاه مماثل من التطور ، كما كانت المناطق المحيطة بالبحيرات الغنية بالأسماك مكانا ملائما لاستيطان بعض قبائل البشر فى أوربا .

الرعاة

كانت الزراعة أول مظاهر استقرار البشر ولكنها لم تكن كل مظاهر الحياة الجماعية فى ذلك العهد ، فقد كان الرعاة يجوبون الأرض انتجاعا للمرعى ويضربون فى انحائها دون أن يرتبطوا بقيود الجماعة وكان الزعيم يحتل مكانا هاما بين أفراد القبيلة .

وقد استطاع هؤلاء الرعاة الذين كانوا يرتادون الصحارى المحيطة بوادى دجلة والفرات أن يتسللوا الى سومريا وأن يبسطوا نفوذهم على معظم مدنها وما لبث القائد السامى العظيم سارجون

ان وجه اليها جيوشه وأقبل عليها بخيله ورجاله عام ٢٧٥٠ ق.م. ليخرج منتصرا مظفرا وقد شاد دعائم ملك واسع يمتد من الخليج الفارسى حتى شواطىء البحر المتوسط ـ ظل يحتفظ بطابعه أكثر من قرنين متتاليين . ولكن الفناء لم يلبث أن دب اليه فتقوضت أركانه وشاد الحمورابيون على انقاضه مملكة عظيمة إتخذوا بابل حاضرة لها وهى ما يعرفه المؤرخون الآن باسم امبراطورية بابل الأولى ولم يلبث الملك حمورابى العظيم ، الذى كان أول من استن الشرائع ووضع القوانين ، أن دعم أسس الامبراطورية ووطد اركانها عام ٢١٠٠ ق.م.

وفى ذلك العهد غزا الساميون وادى النيل ، وتعاقب على حكم مصر سلسلة من الملوك الرعاة « الهكسوس » واستمر حكمهم لها بضع مئات من السنين . ولكن المصريين القدماء ظلوا ينظرون اليهم دائما كأعداء لهم ودخلاء على بلادهم فرضوا أنفسهم عليها فرضا حتى تمكنوا من طردهم فى النهاية فى عام ١٦٠٠ قبل الميلاد .

الفينيقيـــون

فى عهد حمورابى كان الفينيقيون ، وهم أول من ارتاد البحر ، يزاولون التجارة فى حوض البحر المتوسط وينشئون المدائن فى جزره .. وقد نزلوا فى اسبانيا بعد أن أرغموا سكان شبه جزيرة ايبريا من قبائل الباسك على التراجـع ثم نزلوا فى جبل طارق واستعمروا ساحل أفريقيا الشمالى .

ثم يصل بنا الحديث الى قرطاجنة احدى مدن الفينيقيين واعظمها شأنا . ان الفينيقيين قهروا البحر ، ولكنهم لم يكونوا الوحيدين الذين انفردوا بذلك ، فثمة كثير من الأجناس الأخرى التى أصابت حظا من المدنية كانت تستقر فى بحر ايجه كما كان الاغريق يرتادون البحار قادمين من الشمال ، وكانوا يحترفون القرصنة فى ذلك العهد .

مصر وبابل وآشور

لو اتيح للانسان ان يتابع مراحل تطور الحضارة البشرية من وراء زجاجة مجهر لرأى عجبا . ها هى ذى مصر تتخلص من حكم الرعاة ثم تمتد وتنتشر كالاميبا وها هم فراعين مصر يتجهون الى الفتح والغزو بعد أن جلب اليهم الرعاة الخيل وعجلات الحرب فيمتد ملكهم فى آسيا الى نهر الفرات .. ها هو ذا تحتمس العظيم وامنوفيس الثالث ورمسيس الثانى الذى يقال انه فرعون موسى .

ولكن تاريخ مصر العظيم تتخلله فترات من التحلل والركود فيغزوها الآشوريون تارة والأحباش تارة أخرى .

الآريون والعبرانيون والكلدانيون

ويكاد تاريخ العالم فى ذلك العهد يقتصر على رؤية جيوش مصر وآشور وبابل تنتقل بين وادى النيل والدجلة والفرات وآسيا الصغرى ونينوى ، حتى تصبح آشور اعظم دولة حربية فى النهاية . على أن الباحث المدقق لا يلبث أن يلمح فيما وراء حضارات المصريين والآشوريين والحيثيين وشعب ليبيا ظلالا أخرى تنتقل هنا وهناك على سطح الكرة الأرضية وأسماء جديدة تتسلل الى تاريخ العالم .. فيظهر الميديون والفرس فى الشمال الشرقى للبحر الأسود وبحر الخزر .. ثم تظهر قبائل الأرمن والهيلينيين الذين نعرفهم باسم الاغريق ، وتظهر أجناس أخرى لا يحصيها العد كلها من قبائل الآريين الذين انتشروا فى الأرض سواء فى الغرب أو فى الشرق والذين دأبوا على الاغارة على المدن والقرى ، التماسا للرزق اينما وجدوا اليه من سبيل . وينبغى ما دمنا بسبيل سرد تاريخ العالم ألا نغفل ذكر العبرانيين الذين

ينتمون الى الجنس السامى والذين يحتلون مكانا هاما فى تاريخ العالم .

وقد تعاقبت حضارات الكلدانيين والميديين وامبراطورية بابل الثانية التى بلغت أوج الحضارة تحت حكم الملك بختنصر العظيم وظلت الامبراطورية البابلية الثانية من عام ٦٠٦ الى عام ٥٣٩ ق. م. وكان آخر أفراد الأسرة الكلدانية من ملوك بابل هو نابونيدس الذى أخذ أسيرا حين زحف الملك قورش على بابل ثم دخلها بجنوده بلا قتال .

وبذلك تم توحيد الامبراطورية البابلية والميدية واخضع قمبيز ابن قورش مصر .

فـــارس

وقامت فى أعقاب ذلك حضارة الفرس على انقاض الحضارات القديمة ، وكانت تضم داخل حدودها آسيا الصغرى وامبراطوريتى آشور وبابل ومصر والقوقاز وميديا وفارس وقزوين وتمتد فى بلاد الهند حتى السند .

وقد انشأ حكام فارس شبكة من الطرق كانت تمتد كالشرايين وتربط بين أجزاء الامبراطورية الجديدة التى اصبحت « سوس » عاصمة لها .

تاريخ اليهود القديم

لم يكن اليهود شعبا متحضرا ولا متحدا ، وقد أصبحت بلادهم تابعة لمصر عندما هزم الفرعون نخاو الثانى يوشع ملك يهوذا ثم تعرضوا للأسر بعد أن استولى الملك بختنصر على يهوذا ودمرها واحرقا اورشليم .

وتروى التوراة قصص أنبياء بنى اسرائيل ... لقد كان اليهود شيئا جديدا .. كانوا شعبا بلا ملك ..

الاغـــريق

لقد جـرت سنة الـكون على مداولة الحضارات بين الأمم ، تقوم هذه على أنقاض تلك ، ولا تغرب حضارة الا وضوء حضارة جديدة ينبثق ثم يمتد وينتشر .

وهكذا كانت حضارة الاغريق تنمو وتزدهر فى الوقت الذى كان ملك سليمان الذى يحتمل أن يكون حكمه فى عام ٩٦٠ ق. م. يؤذن بالزوال ويكاد يشرف على نهايته . وبينمـا كان الأنبيـاء اليهود يبشرون بالوحدة ويعملون على اذكاء روح العاطفة الدينية كان فلاسفة الاغريق يهيئون العقل البشرى لتقبل نظريات روحية جـديدة .

ويرجع أصل الاغريق الى بعض الأجناس الآرية ويحتمـل أن يكونوا هم الذين أحرقوا كنوسوس ، ولكن اسـاطير اليونان لم تسجل هذا النصر ، وان كانت قد اشارت الى الملك « منيوس » كما سجلت الملحمتين الخالدتين « الالياذة » التى تروى قصـة حصار مدينة طروادة ، « والاوديســا » التى سجلت مغـامرات البطل العظيم أوديسوس .

والملاحم تصور الاغريق على أنهم شعب فطرى لم يكن يعرف الحرية أو الكتابة وســكنى المدن ولكنه لا يلبث ان يضرب بسهم وافر فى الحضـارة فتنمو المدن ، وتتسع التجـارة ، وتتصـارع المبادىء السياسية ، وتحظى المعرفة والحكمة بحرية لم تعرفها من قبل ، وتتردد أسماء فلاسفة الاغريق الذين كرسوا حياتهم للبحث والدراسة ومحاولة تفسير الظـواهر الكونية والبحث فى تاريخ الانسان .

الحرب بين الاغريق والفرس

كانت حضارتا الفرس والاغـريق تمتدان فى طـول الأرض وعرضها وتضربان فى ربوعها شرقا وغـربا فلم يكن ثمة مفر من تصادمهما فى النهاية .

وقد حدث ذلك عندما حاول دارا الأول ، امبراطور الفرس ، أن يصل الى جنوب روسيا وعندما عبر الدردنيل ونزل فى مقدونيا وبلغاريا ، واعقبت ذلك سلسلة متصلة من الحروب تبـادل فيها الفـرس والاغـريق لذة الظفر ومـرارة الهزيمة وانتهت بهزيمة الفرس وظهور الاسكندر الأكبر الذى هزم الفرس شر هزيمة وامتد ملكه من مصر غربا الى حدود الهند وبلوخستان شمالا ، على ان الموت لم يمهله ، فلم يلبث أن غلب قاهر الملـوك والاباطرة عـلى امره وتفرقت مملكته بعد موته وكانت مصر من حظ البطالسة .

هذه لمحة موجزة عن تاريخ الاغريق لا ينبغى أن نمر بها دون أن نشير الى حظ اليونان من الحضارة والفلسفة ، ودون أن نذكر سقراط وافلاطون صاحب الجمهـورية الذى كان أول من تحدث عن العالم الكامل (اليوتوبيا) وتلميذه ارسطو معلم الانسانية الأول واول من وضع اصول علم السياسـة ودرس القانون والشريعة والفن ..

جـوتاما بوذا

اذا نحن عدنا ثلاثة قرون الى الوراء فسوف نجد أنفسنا أمام قصة معلم عظيم احـدث انقلابا ثوريا فى فكر آسيا ومشاعرها الدينية هو جوتاما بوذا ..

وجوتاما بوذا ينحدر من اسرة ارستقراطية عـرفت السلطة والنفوذ ، ولكنه لم يلبث أن تنكر لها وهجر زوجته الجميلة وطفله بحثا عن المعرفة .. التى لم تلبث أن دانت له ..

وكانت نقطة البداية فى تعاليم « البوذا » سؤال وجهه الى نفسه : لماذا لا أحس بسعادة تامة ؟

وهنا يقول البوذا ، وهو اللقب الذى خلعه عليه تلاميذه : أن التلهف على الحياة يتخذ ثلاث صور كلها شر : أولاها الشهوة الحيوية ، وثانيتها الرغبة فى الخلود ، وثالثتها حب الدنيا والمال والجشع وما الى ذلك . والانسان فى بحثه عن السعادة يجب أن يقهر كل هذه النزوات فى نفسه ، فاذا تحقق له ذلك بلغ مرتبة « الذتانا » أى صفاء النفس .

ولقد انقضت أجيال على تعاليم جوتاما ، حتى قيض الله لها الملك « آسوكا » الذى آمن بها وتحمس لها وعندما فقد اهتمامه بالحرب والغزو وزهدهما تماما ، تبنى مذهب البوذية وعمل على نشره ، وقد طغت الهندوكية على البوذية فى الهند ، ولكن هذه الأخيرة لم تلبث أن انتشرت خارج الهند وأصبحت هى الدين السائد فى الصين وسيام وبورما والهند الصينية .

الحضــــارة الصينية

وهنا لا بد أن نشير الى حضارة قديمة انتشرت فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهو القرن الذى شهد اعظم الحضارات الانسانية . ولقد نشأت أولى الحضارات الصينية فى وديان الأنهار شأن الحضارات التى شهدتها مصر وسومر ، وكانت لها نفس الخصائص .

ولقد كانت الصين مكونة من مجموعة هائلة من الممالك الصغيرة التى تخضع للامبراطور ابن السماء « شانج » الذى انتهى حكم أسرته فى عام ١١٢٥ ق. م. وخلفتها أسرة « تشاو » التى امتدت حتى عاصرت عهد آسوكا بالهند والبطالسة فى مصر .

وامتازت حضارة الصين بظهور عدد من الفلاسفة كان ابرزهم « كونفوشيوس » ... الذى كان يسعى قبل أن يظهر افلاطون

بقرن ونصف قرن الى الحكومة المثلى » ولكنه لم يلبث أن مات بعد أن تحطمت آماله وان كانت مبادئه لم تلبث ان انتشرت فى انحاء الصين وأصبحت تمثل احد التعاليم الثلاثة مع تعاليم « بوذا » و « لاوتسى » .

واذا كان جوتاما بوذا قد شغل بقضايا السلام ، فقد اتجه اهتمام « كونفوشيوس » الى قضايا العالم ومشاكله والى تنظيم السلوك الانسانى وتحديد صورة السيد المهذب .. أما لاوتسى فقد كان يبشر بالعودة الى البساطة والتصوف ..

ولقد شهدت الصين صراعا بين ممالكها المختلفة حتى انتهى الأمر الى الامبراطور شى هوانج تى الذى حكم الصين ستة وثلاثين عاما ..

الرومـــان

لا بد أن القارىء قد أدرك الصفات العامة التى تربط بين هذه الحضارات جميعا على الرغم من اختلاف البيئات وتباين العناصر والأجناس التى شادت دعائمها .

على أن هذه الحقبة من التاريخ شهدت بداية الانحلال الذى تطرق الى جميع الحضارات القديمة وانبثاق فجر حضارة جديدة تمتاز بروح جديدة بدأت بازدياد نفوذ الرومان منذ القرن الخامس قبل الميلاد وامتداد سلطانهم فى الشرق والغرب .

وفى عام ٢٦٤ قبل الميلاد بدأ الصراع بين روما وقرطاجنة فيما يعرف بالحرب البونية ، وفى ذلك الوقت بالضبط كان « آسوكا » يحكم الهند ، وشى هوانج تى يحكم الصين ..

واستمرت هذه الحروب سنين طويلة وتم النصر لروما فى عام ٢٤١ ق . م . وعقدت هدنة بين الطرفين .. ثم نشبت الحرب من جديد وانزل هانيبال قائد قرطاجنة هزائم متلاحقة بالرومان ،

ولم يستطع أى قائد رومانى أن يقف أمامه الى أن تمرد عليه النوميديون فى أرض الوطن فعاد ليواجه ثورتهم مما أتاح للرومان عبور البحر الى افريقية ولقى هانيبال القائد العظيم أول هزيمة له فى معركة زاما عام ٢٠٢ ق. م.

واستسلمت قرطاجنة طوال خمسين عاما ، ثم بدأت تسترد شيئا من مكانتها ، ولكن الرومان الذين اتسع نفوذهم وتعاظم شأنهم لم يلبثوا أن هاجموا القرطاجنيين مرة أخرى ودمروا مدينتهم العظيمة وقتلوا أهلها وباعوا البقية الباقية منهم بيع العبيد .

ظلت الامبراطورية الرومانية قائمة عدة قرون وتميزت بنظام حكمها حتى انتهى أمرها الى القادة العسكريين لوكولوس وبومبى وكراسوس ويوليوس قيصر . وفى عام (٤٨ ق.م) انهزم بومبى أمام يوليوس قيصر الذى دان له الأمر ، وواصل يوليوس قيصر زحفه الى مصر بعد هزيمة بومبى ، ووقع فى غرام كليوباتره ثم عاد الى روما بفكرة « الملك الاله » ولكنه لم يلبث أن قتل فى مجلس الشيوخ طعنا بالخناجر وعلى يد أصدق أصدقائه ..

وبعد صراع دام بين ثلاثة من قادة روما هم لبيدوس ومارك انطونيو واوكتافيوس .. دان الأمر فى النهاية لاوكتافيوس الذى هزم مارك انطونيو ، صاحب كليوباتره ، فى معركة اكثيوم البحرية .

واشتهر عهد أوكتافيوس الذى كان زاهدا فى الحكم والألوهية بالعدالة والحرية ، فأطلق عليه لقب الأمير ثم أصبح فيما بعد أول أباطرة الرومان وامتد حكمه من عام ٢٧ ق. م. الى عام ١٤ م.

وخلفه تيبريوس وكاليجولا ونيرون وتراجان ومارکوس اوريليوس ..

وقد بلغت الامبراطورية الرومانية اقصى مداها وامتد سلطانها من الجزر البريطانية الى نهر الفرات .

رومـــا والصـــين

وفى الوقت نفســه كانت امبراطـورية الصين تحـت اسرة « حان » قد امتـد سلطانهـا واتسعت رقعتهـا حتى فاقت الامبراطورية الرومانية .. ومن العجيب ان هاتين الامبراطوريتين الكبيرتين قد ازدهرتا فى عالم واحد وفى وقت واحـد دون أن تعلم احداهما بالأخرى .. ومن الغريب ايضا انهما بدأتا فى الانهيار والتفكك معا ، بعد أن اجتاحتهما الأوبئة سنوات طويلة اضعفت مقاومتهما .. حتى آذنت شمسها بالمغيب فى النهاية ..

ظهـور المسيح

ولقد تميز العصر الرومانى ، اذا جاز لنا أن نطلق عليه هذا الاسم ، بظهور المسيح فى عهـد اغسطس قيصر ، أول اباطـرة الرومـان ، وتبشـيره بالدين الذى قدر له أن يكون دين الدولة الرومانية بأكملها . وقد ظل المسيح يجاهد فى سنبيل نشر تعاليمه ولقى فى سبيل ذلك صنوفا من العـذاب والاضطهاد حتى قيض للمسيحية فى النهاية ان تنتصر خلال القرنين الأول والثانى من الميلاد ، وأن تنتشر فى عهد الامبراطور قسطنطين عام ٣٢٤ م . فى جميع انحاء البلاد .

بيزنطـة وفارس

وانقسمت الامبراطورية الرومانية الى الامبراطوريتين الشرقية والغربية بعد أن تداعت تحت وطأة غارات العناصر الجرمانية . وشهـد النصف الأول من القـرن الخامس وقوع الامبراطـورية بأكملها بين براثن جيوش البرابرة .

وفى ذلك الوقت غزت أوربا قبائل الهون والتتار التى القت الرعب فى قلوب الأوربيين .. وكان ظهور هذه القبائل فى اوربا

بداية لمرحلة جديدة من مراحل تطور البشرية . على يد قائد الهون « اتيلا » الذى انطلق بجيوشه يبث الرعب والخراب فى كل ارض يحل بها ، ولم تنج مدينة واحـدة فى شمال بلاد الغال من السلب والنهب ..»

بيزنطـة وساسـان

وشهد العالم فى الوقت نفسـه صراعا بين النصف الشرقى من الامبراطورية الرومانية الناطق باليونانية والذى بقى متماسكا بعد انهيار الامبراطورية الرومانية الناطقة باللاتينية ، وبين دولة آل ساسان التى كانت تمثل المنافس الدائم لبيزنطة .

واشتد العداء بين الامبراطور جسـتينيان وبين امبراطور الفرس كسرى انوشروان ثم توارث الخلاف من بعدهما الامبراطور هرقل وكسرى الثانى حوالى عام ٥٨٠ م.

وقد استولى كسرى الثانى على انطاكية ودمشق واورشليم كما استولى على مصر ، ولكن هرقل تصدى له والحق به هزيمة كبيرة فى معركة نينوى عام ٦٢٧ م .

ظهـور الاسـلام

فى الوقـت الذى كانت حضـارات الرومـان ، والفـرس ، وامبراطورية الصين توشك أن تغيب شمسها .. كانت حضارة جديدة توشك أن تنبثق فى صحارى شبه جزيرة العرب ..

كان هرقل يعالج جراحات امبراطورية الروم بعد سلسلة من الحروب الدامية مع مـلوك آل ساسان .. وكانت فارس تعانى نتائج الهزيمة التى لحقت بها على أيدى الروم .. وكانت الصين قد بدأت تسترد امجادها وتعيش فى ظل فترة من الرخاء والعلم والتقدم لم تمر بها من قبل بعد أن احدثت البوذية انقلابا فكريا هائلا ..»

فى الوقت الذى كان هرقل يحكم بيزنطة ، وقباذ يحكم فارس ، وتاى تسونج يحكم الصين .. وصلت الى الاباطرة الثلاثة رسالة تحمل خاتم محمد رسول الله .. تدعوهم الى الدخول فى دين الله : الاسلام ..

ولم يذكر التاريخ رد هرقل على رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) .. لكنه أشار الى حسن استقبال تاى تسونج لرسل النبى محمد فى عام ٦٢٨ واهتمامه بآرائهم الدينية ومساعدتهم فى بناء مسجد فى مدينة كانتون .. كما سجل التاريخ أن قباذ استاء من رسالة محمد ومزقها وكاد يفتك بمن حملها اليه .

منذ ذلك اليوم بدأ العرب يحتلون مكانهم فى التاريخ بعد أن انتشر الاسلام بين ربوعهم .. ثم شهد القرن التالى تألق الحضارة العربية التى امتدت من بلاد الأندلس حتى حدود الصين .. ومنحت العالم قوة روحية لا تزال تفرض وجودها الى اليوم ..

ولقد أعقب ظهور الاسلام سلسلة من الغزوات التى لا يزال العالم ينظر اليها فى دهشة واعجاب ..

فقد استطاع هؤلاء البدو البسطاء أن يقهروا الروم فى موقعة اليرموك فى عام ٦٣٣ ، وشهد هرقل سادته الجدد فى دمشق وانطاكية وبيت المقدس ، ولم يلبث العرب بعد ذلك أن انتصروا على الفرس واستولوا على مصر وامتد ملكهم من تخوم الامبراطورية الصينية شرقا الى اسبانيا غربا ..

وضرب العرب بسهم وافر فى مختلف ضروب الحضارة . ففى عهدهم ازدهرت العلوم وانتشرت الصناعات وتقدمت الابحاث العلمية ، وسجل العرب انتصارات عديدة فى علوم الرياضة والفلسفة والعلوم الدينية .. كما يرجع اليهم الفضل فى نقل

حضارة الاغريق الى اوروبا وانماء البذور التي غرسها ارسطو وغيره من فلاسفة الاغريق .

الحـــروب الصليبية

وكان لابد للمسيحية والاسلام أن يصطدما في النهاية . وسرعان ما نشبت الحروب الدينية بين الفريقين وكان ميدانها الاراضي المقدسة ، واستمرت الحروب الصليبية زمنا طويلا ، وحشد فيها الشرق والغرب كل قواهما حتى انتهت بانتصار المسلمين بقيادة السلطان صــلاح الدين الزعيم الـكردي ورأس الدولة الأيوبيــة في مصر .

المغـــول

في مستهل القرن الثالث عشر للميلاد ، اتجه التتــار الى الغزو والفتح وبسطــوا نفــوذهم من حـــدود المحيط الهــادي والامبراطورية الصينية شرقا الى ما يعرف الآن بروسيا وبلغاريا والمجر غربا ، ومن حـــدود سيبيريا شـــمالا الى تركستان والهند وكردستان وبلاد العرب جنوبا .

وسجل التاريخ الى جانب أسماء الاسكندر ودارا وهانيبال واتيلا .. أسماء جانكيز خان وتيمــور لنك . وكانت الصين قد انقسمت على نفسها وتحــولت الى ثلاث دويلات متطاحنة هي امبراطــورية « كن » وعاصمتها بكين ، وامبراطــورية « سنج » وعاصمتها نانكين ، وامبراطورية « هي سيــا » . وقد اســتولى جانكيز خان على بكين في عام (١٢١٤ م) ، ثم اتجه غربا فاستولى على التركستان وفارس وارمنية والهند وجنوب روسيا .

ومما يذكر انهم اول من استخدموا « البارود » في الحروب واول من عرفوا مدافع الميدان الصغيرة .

وبعد وفاة جانكيز خان تولى الحكم بعده أوجداى خان ثم خلفه مانجوخان الذى عين أخاه كوبلاى خان حاكما للصين وقد أسس فيما بعد أسرة « يوان » وانطلق الأخ الثالث لهما وهو « هولاكو » الى فتح فارس وسوريا .

وقد كان المغول من أشد أعداء الاسلام .. فلم يكتفوا بتذبيح سكان بغداد عندما استولوا عليها بل دمروا كل أرض الجزيرة وارتكبوا فيها أفظع الآثام ..

ولكنهم عجزوا عن دخول مصر .. فقد الحق سلطان مصر « الظاهر بيبرس » بجيش هولاكو هزيمة منكرة على أرض فلسطين فى عام ١٢٦٠ م .

العثمانيون

كان من نتائج اكتساح المغول لآسيا وأوربا فى القرن الثالث عشر أن اضطرت فصيلة من الأتراك عرفت فيما بعد باسم العثمانيين الى الهجرة من تركستان الى آسيا الصغرى ومن ثم استقرت هنالك وبسطت نفوذها عبر المضايق فى مقدونيا وبلغاريا والصين .. وفى عام ١٤٥٣ استولى السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية ، وشهد القرن السادس امتداد مملكة سلاطين آل عثمان الى بغداد ومصر وشمال افريقيا وتسلطهم على حوض البحر الأبيض المتوسط .

اوروبا

وفى مستهل القرن الثانى عشر بدت فى أوروبا دلائل يقظة جديدة وبدأت الشعوب الاوروبية فى وضع دعائم حضارات جديدة قوامها حضارتا الرومان والاغريق التى يرجع الفضل فى نقلهما الى أوروبا للعرب الذين أثروا بعلومهم وفلسفاتهم على العقلية الأوروبية .

وتتابعت أحداث التاريخ بعد ذلك فبدأت أوروبا تتخذ شكلها المعروف وانقسمت الى عـدة دول ضربت جميعا بسهم وافر فى الحضارة والمدنيـة ، وانتشرت فيها المعارف وازدهـرت العلوم واتجهت الى الكشف وارتياد البحار ، فظهر كولمبوس وماركو بولو وماجلان . ومن ثم فقـد بدأ العالم عقب ذلك عهـد النهضـة والاكتشافات العظمى .

ولقد كان دور العرب وفضلهم على الحضارة الأوروبية بارزا فهم لم يمنحوا العالم المسيحى أسس العلوم والفلسفة فحسب . بل اليهم يرجع الفضل فى تعريف هذا العالم الجديد بصناعة الورق التى نقلها العرب عن الصينيين .

عصر التجارب السياسية

ولقد شهدت تلك الفترة مجد الامبراطورية الرومانية المقدسة فى عهد الامبراطور شارل الخامس « شارلمان » ولكنها لم تلبث أن تحطمت بعد وفاته وهوت فى درك الانحلال .

وشهدت أوروبا عقب ذلك صراعا رهيبا من أجل السلطة بين ملوك انجلترا وفرنسـا والمانيـا والنمسـا وروسـيا وبولنـدا وسويسرا .. وتميزت هذه المرحلة بالمؤامرات والدسائس والارهاب والعداوة والكراهية .

امبراطوريات ما وراء البحـار

فى ذلك الوقت اتجهت دول غرب أوروبا الى ماوراء البحار واستطاعت الاستيلاء على مناطق شاسعة فى أفريقيا وآسـيا وامريكا وأنشأت فيها مستعمرات ظلت خاضعة لسيطرتها وكان التنافس شديدا بين هولندا واسبانيا والبرتغال وبريطانيا وفرنسا وقد أدى ذلك الى سلسلة من الحروب فى محاولة للسيطرة على البحار باعتبارها الطريق الى الحصول على المستعمرات .

وكانت القارة الامريكية ميدانا للصراع بين فرنسا وبريطانيا من ناحية وبين اسبانيا والبرتغال من ناحية أخرى .. وقد انتهت بانتصار بريطانيا ثم بقيام حرب الاستقلال الأمريكية وتبعتها حروب الاستقلال في أمريكا اللاتينية التى انتهت بانفصال المستعمرات الاسبانية والبرتغالية عن اسبانيا والبرتغال .

الثورة الفرنسية

وشهدت أوروبا فى ذلك الوقت قيام الثورة الفرنسية واعدام لويس السادس عشر والملكة مارى انطوانيت ، وبرغم تألب دول أوروبا الملكية على الجمهورية الفرنسية الجديدة فقد استطاعت فرنسا أن تلحق بأعدائها هزائم متتالية وان تحتل هولندا وبلجيكا ثم ايطاليا واسبانيا ، وكان ظهور نابليون بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع بين فرنسا من ناحية وبريطانيا وروسيا من ناحية اخرى .. وقد انتهت بهزيمة نابليون واسره وسقوط الأمبراطورية الفرنسية الجديدة .

على ان تلك الفترة المليئة بالحروب شهدت بداية نهضة علمية فتحت الأبواب على مصاريعها أمام العقل البشرى الذى سجل أعظم انتصاراته .. فى كشف البخار والكهرباء والطاقات المتحركة وظهرت الآلات ووسائل النقل السريع .. وفى سنة ١٩٠٩ ظهرت أول طائرة تحمل انسانا وتخضع لتوجيهه .

وبدأ عصر الصناعة فى أوروبا وعرفت الطباعة وشهد العالم مرحلة تطور جديد كانت لها آثارها على تفكير الانسان وآرائه السياسية والاجتماعية وظهرت عدة آراء ونظريات منها نظرية الاشتراكية التى تقوم على أساس محاربة الملكية الفردية .

امريكا والمانيا

وعلى نحو ما جرت به سنن التطور فقد بدأت تظهر فى الوجود قوى جديدة نجمت عن تجمع قوى متفرقة . وكانت اظهر

تلك القوى الجديدة .. الولايات المتحدة الأمريكية التى سجلت تقدما سريعا اثر الحرب الأهلية التى اجتاحتها والتى أسفرت عن قيم جديدة اهمها بلا شك القضاء على نظام العبيد وتحرير الانسان من ربقة العبودية الى الأبد ..

ثم ظهور المانيا كقوة عظمى بعد انتصار بروسيا على فرنسا فى عام ١٨٧٠ واحتلالها باريس عام ١٨٧١ بعد محاصرتها وضربها بالمدافع .

وكذلك تطور اليابان وقصتها التى أذهلت العالم كله .

الحرب العالمية الأولى

وكان ظهور المانيا وامريكا واليابان بداية لصراع طويل شمل العالم كله ، واستمر خمس سنوات كاملة من عام (١٩١٤ الى ١٩١٨) .. وقد بدأ الصراع فى أعقاب سقوط امبراطورية نابليون الثالث وتأسيس الامبراطورية الألمانية الجديدة التى أخذ يسيطر عليها حلم توحيد أوروبا كلها بزعامة المانيا .. وقد شملت الحرب معظم دول العالم وانتهت بهزيمة المانيا .

.. والثورة فى روسيا

ولم تكن هذه الهزيمة هى أبرز ما أسفرت عنه الحرب .. فقبل عام واحد من انتهاء الحرب فى نوفمبر عام ١٩١٨ .. وقبل انهيار دول أوروبا الوسطى ، انهارت القيصرية فى روسيا بعد أن سرى الفساد فى أوصالها سنوات طويلة .

وفى نوفمبر عام ١٩١٧ استولى البلاشفة بقيادة لينين على مقاليد الحكم فى روسيا وانتصرت الثورة الاشتراكية وبدأ عصر جديد تطورت فيه روسيا الى اتحاد قوى للجمهوريات السوفييتية التى تمثل اليوم احدى القوتين العظميين فى العالم ..

الحرب العالمية الثانية

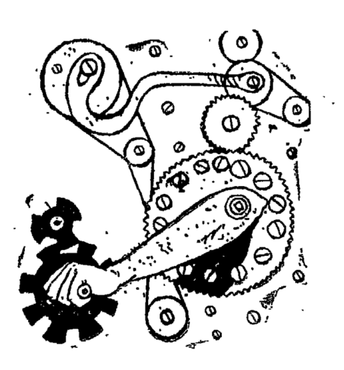
ولم تكن السنوات التالية الا فترة سلم موقت بين حـربين لم تلبث ثانيتهما أن قامت فى عام ١٩٣٩ بعد أن استتب لهتلر الأمر فى المانيا ، وبعد ان فشلت عصبة الأمم فى القيام بدورهـا من اجل حفظ السلام فى العالم .. وتحالفت المانيا وايطاليا التى كانت تخضع بدورها لنظام حكم ديكتاتورى وانضمت اليابان الى دولتى المحور لتشكل بدورها قوة رهيبة ضد الحلفاء فى الشرق الأقصى .. وقد استطـاعت قوات هتلر أن تجتـاح معظم دول أوروبا فى خلال الأشهر الأولى من الحرب .

ولكن الآية لم تلبث ان انقلبت بعد ان دخلت الولايات المتحدة الحرب ، وبعد أن تورط هتلر فى الهجوم على الاتحاد السوفييتى .

... وبدأ عصر جـديد

وفى عام ١٩٤٥ انتهت الحـرب التى قاسى العالم الكثير من ويلاتها . وبانتهائها بدأ العالم مرحلة جديدة من مراحل تطوره . بدأها بكارثة هيروشيما حين ألقت أمريكا أول قنبلة ذرية مؤكدة بذلك أن عصر الذرة قد بدأ .

وكان الجزاء الذى لقيته شعوب العالم فى مقابل ملايين الضحايا الذين راحوا ضحية الرغبة فى السيطرة : ميثـاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان .



حقـوق الإنسـان

تأليف : هـ . ج . ويلز

اجتمع الراى على انه لا سبيل الى قيام مجتمع الا بوضع قواعد تحدد حقوق المواطنين .. وواجباتهم .. وبوجود سلطة تحميها ..

وأولى خلايا المجتمع هى الاسرة المكونة من الأب والأم والأولاد والتى يمثل فيها الأب دور السلطة . ومن مجموع هذه الخلايا تتكون الدولة وهى تخضع لدستور أساسى يحدد حقوق الافراد وواجباتهم .. وتشرف على تطبيقه سلطات مصدرها الشعب نفسه .

ومن مجموع الدول يتألف المجتمع البشرى الذى يتخذ من « حقوق الانسان » دستوراً له ، ولكن تعوزه السلطة التى تكفل تطبيق هذا الدستور على الوجه الأكمل .

ولقد بدأ مستر ويلز يهتم لأول مرة بالبحث فى حقوق الانسان عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية وتمثل اهتمامه اذ ذاك فى رسالتين بعث بهما الى صحيفة التيمس وعالج فيهما أسباب الحرب واهدافها وغاياتها ثم انتهى الى سؤال وجهه الى مستر تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين :

« هل هذه الاغراض هى التى نقاتل ونريق دماءنا من أجلها ؟ .. قل : « أجل » أو فاذهب وافسح لغيرك المجال » ..

ويقدم الكاتب بعد ذلك عرضا تاريخيا لحقوق الانسان فيتحدث عن الدستور البريطاني Magna Charta وعن الثورة الفرنسية ومبادىء الحرية والاخاء والمساواة وعن حقوق الانسان فى عهد روبسبير واليعاقبة .. ويستطرد فى البحث فيشير الى كل ما يتعلق بحقوق الانسان الى عصرنا هذا .. ثم يتخذ من كل ذلك أساسا لدستور جديد يلخص فيه حقوق الانسان .

ويعنى بالانسان كل فرد ذكرا كان أم انثى ، طفلا أم يافعا ، شابا أم شيخا بلا أية فوارق من جنس أو لغة أو دين .. يقول :

« لما كان الانسان قد وجد فى هذه الدنيا بغير ارادته ، ولما كان هو الوارث لكل ما آل الينا من تراث ضخم ، ولما كان هذا الميراث كافيا لتحقيق المطالب التى حددناها باسمه فيما يلى ، لذا نقرر :

— ١ —

ان لكل فرد نصيبا مشتركا فيما خلفه لنا أسلافنا من الموارد والقوى والمخترعات ومن حقه أن يحصل بغير تمييز فى الجنس أو فى اللون أو فى الدين على نصيب من الغذاء والكساء وأن تتوفر له العناية الطبية والرعاية الضرورية لتحقيق تطوره الجسمانى والعقلى ، وحفظ حالته الصحية من مولده الى مماته .

— ٢ —

ان لكل فرد حقه فى أن ينال قسطا كافيا من التعليم بما يؤهله لأن يكون مواطنا نافعا ذا قيمة فى الحياة فضلا عن وجوب تيسير التعليم الخاص للفرد لضمان تكافؤ الفرص ولمساعدته

على انماء مواهبه الطبيعية فى خدمة البشرية كما يجب أن يباح له حق الاطلاع على كل الموضوعات التى ترتبط بحياته ، وأن يتمتع الى أبعد حد بحرية المناقشة والاجتماع والعبادة .

— ٣ —

أن تكفل الحرية التامة للفرد في مزاولة أى عمل مشروع . وأن يكتسب بالقدر الذى يؤهله له عمله وما يعود على الصالح المشترك العام من ورائه من نفع . وللمرء حق العمل والحصول على الأجر . كما أن له حرية اختيار نوع العمل الذى يفضله ما دامت أمامه فرصة للاختيار ، وله فضلا عن ذلك أن يقترح العمل الذى يريد مزاولته . على أن تدرس مطالبه علنا وتجاب اذا كانت على حق أو ترفض اذا كان ثمة ما يدعو الى رفضها .

— ٤ —

للفرد أن يتمتع بحق البيع والشراء دون التعرض لأية قيود ما دام حق البيع والشراء لا يتجاوز السلع والحاجات المباحة قانونا . وله أن يمارس ذلك بالقدر الذى يتراءى له بما يتفق مع الصالح العام .

— ٥ —

يجب أن يستظل الفرد وممتلكاته الخاصة التى جمعها بالطرق المشروعة بحماية البوليس والقانون ضد كل اعتداء أو حرمان أو ارغام أو تهديد .

— ٦ —

يجب أن تكفل للفرد حرية التجول فى جميع أنحاء العالم كما يجب أن يتمتع بحرية الذهاب الى اية دولة او منطقة أو مزرعة

أو حديقة عامة وركوب البحر أو ارتيـاد البحيرات والانهار فى جميع انحاء العالم حيث لا يترتب على وجوده أى ضرر خاص يلحق به او يسىء الى مواطنيه .

― ٧ ―

يجب ألا يسجن الفرد (ما لم تقر السلطات المسئولة العادلة بانه خطر على نفسه أو على الآخرين لسوء حالته العقلية مع التحقق من صحة ذلك سنويا) ـ لمدة تزيد على ستة ايام ـ ما لم توجه اليه تهمة محددة بخرق القانون كما يجب الا تزيد مدة سجنه على ثلاثة اشهر بدون تقديمه للمحاكمة العلنية على أن يطلق سراحه فورا فى نهاية هذه الفترة اذا لم يقدم للمحاكمة ولم تصدر ضده أحكام وفقا للقانون كمايجب الايرغم الفرد على الانخراط فى سلك الجندية أو مزاولة أى عمل آخر اذا كان لديه اعتراض مقبول .

― ٨ ―

على الرغم من أن الفرد يمكن أن يتعرض لانتقاد الآخرين فيجب أن تتوفر له الحماية الكافية ضد الكذب والاختلاق والتشهير الذى قد يؤذيه أو يلحق به الضرر وكل ما يسجل فى الدوائر المسئولة عن أعمال الفرد يجب أن يكون له حق الاطلاع عليه . ويجب الا تحتفظ الجهات الادارية بأية ملفات سرية وأن يكون للفرد الذى يعنيه الأمر حق الاطلاع على اية ملفات خاصة به قد تكون فى حوزة الجهات الادارية . وأن تكون المعلومات التى تتضمنها هذه الملفات عرضة للتصحيح والتغيير اذا لم يقم عليها دليل حاسم أو اذا ثبت أن هذه الملفات ليست الا مجرد مذكرات ولا يمكن أن تستخدم ضد أى فرد بغير أن يقام عليها دليل قاطع .

― ٩ ―

يجب ألا تجرى للفرد عماية البتر أو « التعقيم » الا بموافقته التامة التى يعرب عنها بمحض ارادته . كما يجب ألا يتعرض لأى

اعتداء ما لم يكن ذلك لدفع اعتدائه هو أو لأى تعذيب أو اضطهاد أو عقاب جسدي .

ويجب الا يتعرض اذا سجن لارهاق اعصابه بالسكون المطلق أو الافراط في الجلبة أو الضوء أو الاظلام والا يسجن في مكان فاسد ملىء بالحشرات أو غير صحى على اى نحو كان والا يرغم على الاختلاط بأشخاص قذرين أو فاسدى الأخلاق .

ويجب الا يرغم على تناول الطعام بل أن يترك وشأنه . ويجب الا يرغم كذلك على تناول أية عقاقير طبيـة والا تقـدم اليه الا بعلمه وموافقته والا تزيد العقوبات التى تطبق عليه على الأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاما أو الاعدام ».

— ١٠ —

يجب تحديد المواد والنصوص التى تضمنها اعلان حقـوق الانسان بشكل واضح فى دستور أساسى بحيث لا يمكن ان يساء تأويلها . وأن يتضمن هذا الدستور كل التصريحات التى سبق اعلانها عن حقوق الانسان . وأن يصبح من الآن فصاعدا القانون الاساسى للبشرية فى جميع أنحاء العالم ».

كذلك يجب الا يقيد الأفراد والجماعات بأية معاهدة أو قوانين تمس هذه الحقوق ما لم يوافق عليها كل مواطن بلغ سن الرشد ممن يمسهم الأمر سواء باقراره بغالبية مباشرة فى الأصوات أو بغالبية أصوات الممثلين الذين ينتخبهم الشعب علنا وبمحض ارادته ». ويجب الا يعهد الى أية سلطة تنفيذية بحجة الطوارىء أو العمل على الصالح العام أو لأى سبب آخر بسلطات تمكنها من ايجاد أو تحديد أو سن القوانين التى قد تمس الحقوق والحريات التى تضمنتها المواد السابقة اذ يجب أن تكون كل الشرائع علنية ومحددة كما يجب الا يتقيد الأفراد أو الهيئات أو الجماعات بأية معاهدات

سرية . والا تكون القرارات التى تتخذها الهيئات التنفيذية ملزمة للافراد اذا تجاوزت حدود القوانين المعمول بها .

ثم يقول مستر ويلز :

حددنا فى المواد العشر السابقة حقوق الانسان بصفة عامة وتبقى مقابل ذلك الواجبات التى يفرضها عليه المجتمع .

هذه الحقوق والواجبات ينبغى الا تكون مقصورة على دولة من الدول او على مجموعة من الدول بل يجب أن يشترك العالم كله فى الاعتراف بها والعمل على ضمان تنفيذها . فاذا ما وجدت هيئة عالمية او حكومة عالمية فان من أول واجباتها ان تسهر على ضمان حقوق الفرد فى جميع أنحاء العالم على أن يكون لها حق العمل والتدخل ولو باستعمال القوة اذا فشلت أية حكومة محلية فيما عهد اليها به من واجب حماية الفرد وضمان حقوقه الأولية الأساسية أو تنفيذ القانون بما يكفل تحقيق العدالة المطلقة .

النظام الجديد

عالج مستر ويلز حقوق الانسان باعتبار انها خطوة ضرورية لتحقيق الوحدة الاجتماعية والاقتصادية بين دول العالم .

ثم خصص الفصل التالى من كتابه للحديث عن أنظمة الحكم وما جرته على البشرية من نكبات فى جميع انحاء العالم وهنا يقول : ان الحاجة لتتضح كل يوم الى تركيز جهودنا فى سبيل التعاون فى كل شئون الحياة والا فسيتعرض العالم الى الفوضى الاجتماعية الكاملة ، ولقد أتيحت للعالم كثير من الفرص كان يستطيع لو أحسن الاستفادة منها أن يحدث ثورة عامة فى النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .. ولكن المحاولات المتقدمة كانت لا تلبث أن تتعثر ثم تعود الى الأساليب القديمة والوسائل التى تقادم عليها العهد .

وهنا يقول :

ولقد شهدنا كيف تحولت زمرة من الارهابيين التى تعمل على بث الاضطـرابات واثارة الفتن من وراء الســتار الى قوه عاتية مرهوبة الجانب استطاعت أن تعتدى على سلام العالم مرتين فى أقل من خمسة وعشرين عاما .. ونحن الآن فى أشد الحاجة الى حشد دول العالم داخل نطاق نظام عالمى جديد .

ثم يقول :

ولقــد أبرز كــلارنس بسترايت فى كتــابه« UNION NOW » فكرة الولايات المتحدة الأوروبية وأشار الى أمريكا باعتبار انها من الدول المؤسسة ولكنه تردد فى ضم الاتحاد السوفييتى وشرقى آسيا اليها ، وهذا خطأ فان هذه الدول يجب أن تنضم اليها آجلا أو عاجلا .

ويبدو أن النظام النهائى الذى تتجه اليه الشعوب فيما يتعلق بنوع الحكومات التى ستتخذها فى المستقبل يجمع بين خليط من النظم الاشتراكية والراسمالية . واذا كان الشرق هو الشرق والغرب هو الغرب فان كل تقارب بين الشرق والغرب سيعود على الانسانية بالنفع والخير .

ان النظام الاتحادى يجب أن يعمم فى جمع الشــعوب ذات اللغات المشتركة والتقاليد الثقافية المشتركة وليس ثمة ما يحول بعد ذلك دون أن تعمل كل دولة على العناية باتجاهاتهــا الثقافية والأدبية الخاصة ورعايتها وانمائها .

وسوف يكون على حكومة الاتحاد العالمية فى ظل قانون دولى مشترك أن تحمى الأقليات وتحفظ حقوق الغرباء فى المناطق التى تتميز بالمغالاة والتطرف فى القومية .

ويضيف مستر ويلز قوله :

لقد شهد العالم فيما لا يزيد على مائة عام الا قليلا كثيرا من الويلات ومر بفترات حالكة قوضت فيها دعائم الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ودكت صروح الحضارة وسقطت انظمة حكم متعددة كما سقط كثير من النظم الاجتماعية ونشب كثير من الحروب الدامية التى كانت تتبعها فترات يبدو العالم فيهما اكثر استعدادا لتقبل أنظمة جديدة يمكن أن يعاد فيها تشكيله وصياغته على أساسها وعلى نحو يحقق أمانى الشعوب فى السلم والرفاهية والرخاء ، ولكن الدول المنتصرة كانت تسىء استغلال هذه الفرص وتعود بالعالم الى حالة من الاضطراب والفوضى لا تلبث أن تقوده الى الحرب من جديد .

ويناقش مستر ويلز فى فصل تال فكرة عصبة الأمم وفشلها فى تحقيق أهدافها وكيف أدى ضعفها الى نمو الصراع العالمى من جديد وسيطرة النازية على المانيا . وما تلا ذلك من أحداث أدت الى نشوب الحرب العالمية الثانية .

ثم يعود مستر ويلز الى مناقشة فكرة الاتحاد على أساس انها البديل الممكن لعصبة الأمم .. ويشير فى اعجاب الى نظام الولايات المتحدة الامريكية ويطالب بتطبيقه على الولايات المتحدة الأوروبية برغم الفوارق القائمة بين دولها .. ويعرض فكرة دعاة الوحدة التى تطالب بوضع نظام سياسى واقتصادى مشترك قائم على اطلاق حرية التجارة ورفع كل القيود المفروضة عليها وتوحيد العملة ووضع نظام دفاعى مشترك .

لكنه يستدرك قائلا :

انه اذا كان العالم يجب أن يتوحد أو يخضع لنظام اتحادى فان انشاء اتحاد يضم مجموعة من الدول مهما يكن عددها لا يمكن أن يلقى النجاح المنتظر .

ان أى اتحاد يقوم يجب أن يضم دول العالم جميعا وبغير استثناء وهى مهمة لا تبدو شاقة اذا ما وضعنا فى الاعتبار تقاصر المسافات وسهولة الاتصال بين انحاء العالم بفضل وسائل النقل الحديثة . ومثل هذا الاتحاد يجب أن يعنى ازالة الحدود وخصوصا بعد أن اصبحت دول العالم مرتبط بعضها ببعض ارتباطا عضويا لا سبيل الى التحلل منه وبعد أن أصبحت دول العالم كلها تتأثر بأى حدث يقع فى أى جزء من أجزاء العالم ».

ثم يقول :

وعلى ذلك فانه من واجب دول العالم ان تعمل على تحقيق الغاية المشتركة وهى ايجاد نظام عالمى جديد .

وليس ثمة وقت يحتمل الضياع اذا اريد لهذا النظام أن يخرج الى حيز الوجود ».

على شعوب العالم أن تعمل وأن تنشر مبادىء التعاون الجماعى بين دول العالم وأن ترعى مبادىء حقوق الانسان وأن تختار لقيادتها ممثلين امناء ورسلا يحملون هذه المبادىء السامية ويذيعونها فى انحاء الأرض .

وفى مثل هذا العالم السليم ستكون الكلمة النهائية للمبادىء والقانون ولن يكون ثمة مجال لتسلط الحكام الطغاة الذين طالما غرروا بالشعوب وخدعوها ».

ويختم ويلز كتابه بقوله :

لنقف عند هذا الحد حتى لا يجرفنا تيار الحديث بعيدا فى طريق العالم الكامل UTOPIA فقد بدأ هذا الكتاب وسينتهى ليقتصر على مجرد النصح بتجديد اعلان حقوق الانسان كأداة ذات اهمية جوهرية فى سبيل توجيه شئون البشرية ».

اعلان حقوق الانسان

كان تحـديد حقوق الانسان دائما مصـدر اهتمام المفكرين والفلاسفة والمشرعين على امتداد التاريخ ، ومنذ عرفت المجتمعات على مستوى القبيلة في الغابة او فى الصحراء .. فقـد وجدت معها انواع من التشريعات التي تحـدد العلاقة بين الفرد والفرد وبين الفرد والمجتمع ..

كانت تلك التشريعات قانونا عرفيا مصطلحا عليه يحدد حقوق وواجبات الأفراد قبل المجتمع وقبل بعضهم بعضا ، وكانت تتنوع وتختلف وفقا لطبيعة المجتمع ونوعه ومستواه الحضارى .. بل ومصادر الرزق التي يعيش عليها الناس ..

فمجتمع الرعاة له قوانينه ، ومجتمع الصيادين له قوانينه ، ومجتمع الزراع له قوانينه .. وهى قوانين تختلف فى طبيعتهـا من مجتمع الى مجتمع حتى تتـلاءم مع طبيعة الحيـاة فى هذا المجتمع أو ذاك ...

بل لقد حرصت الأديان ، كما حرص دعاة الاصلاح على مراعاة ذلك ، وكانت التشريعات الالهية والوضعية التى تسجل تطور حياة الانسان ، تحرص على الملاءمة بين ما تشترعه من قوانين وبين طبيعة المجتمع نفسه . ومن ثم فقد كانت تختلف ، ليس من مجتمع الى مجتمع فحسب .. بل ومن جيل الى جيل .. ومن عصر الى عصر ...

وعلى مر الزمن ، ومع تقـارب المسافات ، ونمو المجتمعـات وتطورها ، وتقارب الأفكار وتزاوجها ، برزت الحاجة الى قوانين موحدة تحدد حقوق الانسان وواجباته : تضع فى المكان الأول الخصائص المشتركة بين الشرائع والتشريعات المتعددة ، ثم تحاول الملاءمة بين نواحى الخلاف ، على الأقل بالتوصل الى مبادىء عامة تكون أساسا لتشريعات جديدة يمكن أن ترعى فى تفصيلاتها القيم

التى يحرص مجتمع ما على رعايتها .. وان اسقطها مجتمع آخر من حسابه ..

ومن واقع التجارب المشتركة ، ودراسة دساتير العالم ... الشرائع الالهية والتشريعات الوضعية فى نفس الوقت ، كان المشرعون يتوصلون من حقبة الى حقبة .. ومن جيل الى جيل الى مبادىء أساسية لحقوق الانسان ... كان دعاة الاصلاح ينادون بها .. وكانت تبرز ، بصفة خاصة ، فى أعقاب الحروب التى اصطلتها البشرية .. منذ بداية التاريخ . ولم تكن دعوة « هـ . ج . ويلز » غير واحدة من هذه المحاولات . تصدى ويلز لحمل أعبائها فى غضون الحرب العالمية الثانية التى لم تكد تنتهى ، حتى برز الى الوجود ميثاق الأمم المتحدة .. وتبعه بعد ذلك « اعلان حقوق الانسان » ...

ولما كانت مصادر التشريع تنبع غالبا من حاجة الفرد الى تنظيم علاقاته مع الآخرين ، ومن حاجة المجتمع الى تنظيم علاقات الأفراد ، بعضهم ببعض ، وبالمجتمع ذاته .. فان دعاوى الاصلاح تتشابه دائما .. وتقوم على أساسيات تصلح للتطبيق فى كل مكان .. ويمكن تحويرها .. أو صياغتها فى شكل يتلاءم ــ كما قلنا ــ مع الخصائص المميزة لكل مجتمع ..

على أنه لم تمض سنوات على دعوة ويلز التى لم تكن الوحيدة من نوعها بل سبقتها دعوات ودعوات .. وصدرت من قبلها مئات بل آلاف التشريعات ، حتى تبنت « الأمم المتحدة » القضية .. وفى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٨ صدر بالفعل فى « قصر شايو » بباريس الاعلان العالمى لحقوق الانسان بعد أن أقرته الجمعية العامة للامم المتحدة ...

وتقول ديباجة الاعلان ... أنه ... لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة فى جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم .

ولما كان تناسي حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى أعمال همجية آذت الضمير الانساني ، وكان غاية ما يرنو اليه عامة البشر هو انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة ..

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الانسان ، لكيلا يضطر المرء آخر الأمر الى التمرد على الاستبداد والظلم ..

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد اكدت في الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية ، وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدما وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح ...

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الانسان والحريات الأساسية واحترامها ...

ولما كان للادراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد ..

فان الجمعية العامة تنادي بهذا الاعلان لحقوق الانسان على انه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع ، واضعين على الدوام هذا الاعلان نصب اعينهم ، الى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ اجراءات مطردة ، قومية وعالمية ، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الاعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها ..

* * *

ثم تجيء بعد هذه المقدمة « حقوق الانسان » مركزة في ثلاثين مادة تشكل أساس الاعلان العالمي لحقوق الانسان .

المادة الأولى : تنص على ان جميع الناس يولدون احرارا متساوين فى الكرامة والحقوق ، وأن عليهم ، وقد وهبو عقلا وضميرا ، أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء .

والمادة الثانية : تؤكد ان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة فى هذا الاعلان ، دون اى تمييز ، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون او الجنس أو اللغة او الدين أو الرأى السياسى أو اى رأى آخر ، أو الاصل الوطنى أو الاجتماعى أو الثروة أو الميلاد أو أى وضع آخر ، دون أى تفرقة بين الرجال والنساء ..

وتضيف الى ذلك : وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أى تمييز أساسه الوضع السياسى أو القانونى أو الدولى للبلد او البقعة التى ينتمى اليها الفرد سواء أكان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا او تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتى أو كانت سيادته خاضعة لأى قيد من القيود .

وتقول المادة الثالثة : ان لكل فرد الحق فى الحياة والحرية وسلامة شخصه .

والمادة الرابعة : أنه لا يجوز استرقاق أو استعباد أى شخص ، ويحظر الاسترقاق ، وتجارة الرقيق بكافة اوضاعهما .

والمادة الخامسة : لا يعرض أى انسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بكرامته ..

والسادسة : لكل انسان اينما وجد الحق فى أن يعترف الشخصية القانونية .

والسابعة : كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق فى التمتع بحماية متكافئة منه دون أية تفرقة ، كما أن لهم جميعا الحق

فى حماية متساوية ضد اى تمييز تخل بهذا الاعــلان وضــد اى تحريض على تمييز كهذا .

اما المادة الثامنة : فتقول ان لكل شخص الحق فى أن يلجـأ الى المحاكم الوطنية لانصافه من اعمال فيها اعتداء على الحقــوق الاساسية التى يمنحها له القانون .

والتاسعة : لا يجوز القبض على أى انسان أو حجزه أو نفيه تعسفا .

والعاشرة : لكل انسان الحق ، على قدم المســاواة التامة مع الآخرين ، فى أن تنظر قضيته امام محكمة مستقلة نزيهة نظرا عادلا علنيا للفصل فى حقوقه والتزاماته واية تهمة جنائية توجه اليه .

والحادية عشرة : وتنقسم الى جزءين يقول « الأول » منهما : ان كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئا الى ان تثبت ادانته قانونا بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه . « والثانى » الا يدان أى شخص من جراء عمل او الامتناع عن اداء عمل الا اذا كان ذلك يعتبر جرما وفقا للقانون الوطنى أو الدولى وقت الارتكاب ، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التى كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة .

المادة الثانية عشرة : لا يعرض أحد لتدخل تعسفى فى حياته الخاصة او أسرته أو مسكنه أو مراسلاته او لحملات على شرفه وسمعته . ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل هــذا التدخل أو تلك الحملات .

المادة الثالثة عشرة : (١) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة . (٢) يحق لكل فرد ان يغادر اية بلاد بما فى ذلك بلده كما يحق له العودة اليه .

وتقول المادة الرابعة عشرة : ان (١) لكل فرد الحق في ان يلجأ الى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء اليها هربا من الاضطهاد . (٢) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لاعمال تناقض اغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

والخامسة عشرة : (١) لكل فرد الحق في التمتع بجنسية ما (٢) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفا أو انكار حقه في تغييرها .

السادسة عشرة : (١) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس اسرة دون أى قيد بسبب الجنس أو الدين وللزوجين حقوق متساوية عند الزواج ، واثناء قيامه ، وعند انحلاله . (٢) لا يبرم عقد الزواج الا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملا لا اكراه فيه . (٣) الاسرة هي الوحدة الطبيعية الاساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة .

المادة السابعة عشرة : (١) لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره . (٢) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفا .

المادة الثامنة عشرة : لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته ، وحرية الاعراب عنهما بالتعليم والممارسة واقامة الشعائر ومراعاتها ، سواء أكان ذلك سرا أم مع الجماعة .

المادة التاسعة عشرة : لكل شخص الحق في حرية الرأى والتعبير ، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أى تدخل ، واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية .

المادة العشرون : (١) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية . (٢) لا يجوز ارغام أحد على الانضمام الى جمعية ما .

المادة الحادية والعشرون : (١) لكل فرد الحق في الاشتراك في ادارة الشئون العامة لبلاده اما مباشرة ، واما بواسطة ممثلين يختارون اختيارا حرا . (٢) لكل شخص نفس الحق الذى لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد . (٣) ان ارادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة ، ويعبر عن هذه الارادة بانتخابات نزيهة دورية تجرى على اساس الاقتراع السرى ، وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أى اجراء مماثل يضمن حرية التصويت .

المادة الثانية والعشرون : (١) لكل شخص بصفته عضوا في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية ، وفي أن تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي ، وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها ، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته .

المادة الثالثة والعشرون : (١) لكل شخص الحق في العمل وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما ان له حق الحماية من البطالة . (٢) لكل فرد دون أى تمييز الحق في أجر متساو للعمل . (٣) لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولاسرته عيشة لائقة بكرامة الانسان ، تضاف اليه — عند اللزوم — وسائل أخرى للحماية الاجتماعية . (٤) لكل شخص الحق في ان ينشىء أو ينضم الى نقابات حماية لمصلحته .

المادة الرابعة والعشرون : لكل شخص الحق في الراحة ، وفي أوقات الفراغ ، ولا سيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر .

المادية الخامسة والعشرون : (١) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولاسرته ، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة ، وله الحق في تأمين معيشته

فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن ارادته .
(٢) للأمومة والطفولة الحق فى مساعدة ورعاية خاصتين ، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة من رباط شرعى أم بطريقة غير شرعية .

المادة السادسة والعشرون : (١) لكل شخص الحق فى التعلم ، ويجب أن يكون التعليم فى مراحله الاولى والأساسية على الأقل بالمجان ، وان يكون التعليم الاولى الزاميا ، وينبغى ان يعمم التعليم الفنى والمهنى ، وأن ييسر القبول للتعليم العالى على قدم المساواة التامة للجميع وعلى اساس الكفاءة . (٢) يجب ان تهدف التربية الى انماء شخصية الانسان انماء كاملا ، والى تعزيز احترام الانسان والحريات الاساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية ، والى زيادة جهود الامم المتحدة لحفظ السلام . (٣) للاباء الحق الأول فى اختيار نوع تربية اولادهم .

المادة السابعة والعشرون : (١) لكل فرد الحق فى ان يشترك اشتراكا حرا فى حياة المجتمع الثقافى وفى الاستمتاع بالفنون والمساهمة فى التقدم العلمى والاستفادة من نتائجة . (٢) لكل فرد الحق فى حماية المصالح الادبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمى أو الادبى أو الفنى .

المادة الثامنة والعشرون : لكل فرد الحق فى التمتع بنظام اجتماعى دولى تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها فى هذا الاعلان تحققا تاما .

المادة التاسعة والعشرون : (١) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذى يتاح فيه وحده لشخصيته ان تنمو نموا حرا متكاملا . (٢) يخضع الفرد فى ممارسة حقوقه وحرياته لتلك

القيود التى يقررها القانون فقط ، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والاخلاق فى مجتمع ديمقراطى . (٣) لا يصح بحال من الاحوال ان تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع اغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

المادة الثلاثون : ليس فى هذا الاعلان نص يجوز تأويله على انه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أى حق فى القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف الى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه .

* × *

وهكذا يجىء اعلان حقوق الانسان الى نهايته متفقا مع الحريات والحقوق التى دعا اليها ويلز .. والتى تتفق بدورها مع الحريات والحقوق الاساسية التى نادت بها الشرائع فى كل المجتمعات وان اختلفت فى بعض تفاصيلها أو حرفت نتيجة لوقوع الشعوب والافراد تحت ضغط القهر الخارجى ..

واذا كانت مواثيق حقوق الانسان قد حرصت على استيعاب كل معانى الحريات الاساسية التى يجب أن يتمتع بها الانسان ، فان « العالم المثالى » الذى تتحقق فيه كل تلك المبادىء العظيمة لم يتحقق الى اليوم .. ليس لانه يفتقر الى المبادىء ولكن لأن الايمان بهذه المبادىء لم يستقر بعد فى أعماق النفس البشرية .. ولم يصل اقتناع الانسان بها الى حد اعلاء كلمتها ، والعمل على تطبيقها تطبيقا دقيقا يصل الى الذروة فى اعلاء شأن الانسان وكرامته ..

ان تطبيق المبادىء وليست المبادىء ذاتها هو الذى ينقصنا وليس فيما دعا اليه ويلز أو حتى فيما تدعو اليه الأمم المتحدة فى اعلان حقوق الانسان .. ما يفرض هذا التطبيق .. وهذه هى المشكلة (*)



أدولف هتلر

شهد العالم كثيراً من عهود الارهاب والطغيان واستهدف المرة بعد المرة لحكم طغاة .. يفسدون فى الارض وينشرون فيها الرعب والقسوة والارهاب .

ولقد كان أدولف هتلر واحداً من هؤلاء الطغاة الذين حسبوا أن الأرض قد دانت لهم وانها قد اصبحت طوع مشيئتهم ولئن كان قد أحرز مكانا فى التاريخ فما أكثر الذين استوعب التاريخ اسماءهم من الطغاة والمستبدين .

كان هتلر يعتقد أو يحاول أن يقنع نفسه بأن الجنس الجرمانى هو سيد الأجناس ، وأن الأجناس الاخرى تتدرج فى مراتبها وفقا لقواعد عنصرية ابتدعها هو وجعلها أساسا لتقييم الأجناس ، وتصنيفها على خريطة الوجود .

وكان لا بد لهذا الجنس السيد ، فى زعمه ، أن يسيطر على الأجناس الاخرى ، وأن يفرض ارادته على الشعوب ، وأن يتحكم في مصائرها .

هكذا أراد هتلر أن يعود بالعالم الى نظرية « السادة » و « العبيد » التى ابتدعها من قبل نيتشه فيلسوف الألمان الأكبر واذا هو يجهر فى انجيله السياسى « كفاحى » بمبادئه هذه فى

الوقت الذى كانت المانيا لا تزال تتجرع فيه مرارة الفشل وتعانى من الانهيار والانحلال اللذين تفشيا فيها عقب هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى .

وفى هذه الصفحات .. وبعد أن قدمنا موجز تاريخ العالم فى كتابنا الأول .. وعرضا لحقوق الانسان ولفكرة انشاء اتحاد عالمى أو حكومة عالمية فى كتابنا الثانى .. يجىء هذا العرض لانجيل هتلر السياسى .. مجرد عرض لافكاره .. ولاحداث معه أثرت على مصير العالم سنوات طويلة لعلها تثير من جديد السؤال الهام : « هل عرف العالم كيف يستفيد من خطأين متتاليين أشعلا فى أرجائه حربين ضاريتين راح ضحيتهما عشرات الملايين من البشر .. أم أن ما حدث عقب الحرب العالمية الأولى يحدث الآن ويتكرر عقب الحرب العالمية الثانية .. وان كل الظروف تجمع الآن على أن العالم على وشك أن يشعل نيران حرب جديدة ؟ » ..

* * *

ما من زعيم سياسى الا وله برنامج يسعى الى تحقيقه وسياسة لا يدخر جهدا فى سبيل انجازها .

وما كان لهتلر أن يخرج على هذه القاعدة .. فمضى منذ البداية يحدد أهدافه ومقاصده فى كتاب ضمنه آراءه ومعتقداته ، وعمل على تطبيقه منذ اللحظة التى تولى فيها السلطة فى المانيا .

على انه من العدل أن يقال أن هتلر لم يكن أكثر من بوق يعبر عن آمال العسكرية البروسية التى كانت تسيطر على العقلية الألمانية فى ذلك الوقت ، والتى كانت تشعر بجرح غائر فى كبريائها نتيجة للهزيمة التى لحقت بألمانيا فى الحرب العالمية الأولى والتى أذلت المانيا والشعب الألمانى سنوات طويلة بعدها .

ان من يدرس كتاب « كفاحى » لا يلبث أن يتبين مبادىء أربعة تشكل الأسس التى تقوم عليها سياسة هتلر وهى :

١ ـ ضم النمسا والاتجاه نحو الشرق ٠

٢ ـ العنصرية وروح العداء للسامية ٠

٣ ـ العداء للماركسية ٠

٤ ـ عزل فرنسا والقضاء عليها ٠

فاذا نحن أضفنا الى ذلك فصلا يتضمن تاريخ حياة هتلر وبعض تجاربه الشخصية فاننا نكون قد ألمنا بالخطوط العامة للكتاب الذى أوشك أن يحدد مصير العالم لو سارت الامور فى الطريق الذى كان يتمناه طاغية ألمانيا واعظم طغاة العصر الحديث ٠

* * *

كانت مسألة النمسا أولى المسائل التى فكر فيها هتلر وهو يقول فى الفصل الذى كتبه عام ١٩٢٤ فى سجن « لاندسبرج ـ ام ـ لسك » :

« لقد كان من حسن الطالع اننى ولدت فى « بروناوم ـ ان » وهى قرية صغيرة تقع على حدود هاتين الدولتين الألمانيتين اللتين يبدو ان انضمامهما هو الواجب الذى يجب أن نكرس حياتنا من أجله والذى يجب ان نواصل السعى الى تحقيقه بكل الوسائل ... ان النمسا يجب أن تعود الى الوطن الألمانى الكبير وما كان للشعب الألمانى أن يسعى الى التوسع قبل أن يضم أبناءه جميعا فى دولة موحدة ٠ فاذا ما تحقق ذلك وأصبح الرايخ الثالث يضم جميع الألمان ٠ ثم تبين ان أراضيه لا تكفى لامدادهم بحاجتهم من الغذاء فان حق الشعب فى الحصول على أراض أجنبية يتولد عن حاجته وعندئذ يفسح المحراث مكانا للسيف وتهيىء دموع الحرب عالم المستقبل » ٠

ويمضى هتلر فيقول :

لقد كنت أبحث فى مكتبتنا الخاصة عندما عثرت على بعض الكتب العسكرية وبينها نسخة شعبية عن الحرب الفرنسية ـ الألمانية التى وقعت فى (١٨٧٠ ـ ١٨٧١) ووجدت سجلا مصورا لهذه الأعوام لم يلبث أن أصبح خير ما أفضل قراءته وبدأت أهتم بكل ما يتعلق بالشئون العسكرية وكانت ثمة مسائل تشغل ذهنى باستمرار :

ـ هل هناك خلاف بين الألمان الذين ساهموا فى هذه الحرب وبين الآخرين .. ولماذا لم يشترك فيها أبى وغيره من أهالى النمسا ؟

ألسنا جميعا ألمان ؟

ألا نتبع نفس الطريق ؟

وكنت أقلب هذه الامور فى رأسى الصغير وكنت أشعر بشىء من الأسى لأن الألمان لم يكونوا جميعا من حسن الحظ بحيث تضمهم دولة بسمارك .

وكنت أشعر فضلا عن ذلك بأن سلامة ألمانيا لن تتحقق الا اذا انتهت النمسا كدولة ، كما كنت أشعر بأن آل هابسبورج كانوا سبب شقاء الألمان .

وخرجت من قراءاتى وقد امتلأ قلبى بالحب لوطنى النمسا ، وبالكراهة للدولة النمساوية .

وهنا يقص علينا هتلر نبأ موت أبيه ثم كيف لحقت به أمه بعد سنتين تقريبا وكيف أرغمته الحاجة الى التماس وسائل الرزق فغادر مسقط رأسه الى فيينا حيث قضى أسوأ فترة فى حياته وظل يعانى آلام الحياة وشظف العيش زهاء سبع سنوات كان

يعمل خلالها نقاشا « فى هذه المدينة الفارقة فى الحب والأحلام وموسيقى شتراوس » وكان يحاول أن يغرق همومه فى القراءة ».

وفى سن الثانية والعشرين انتقل هتلر الى ميونيخ حيث كان يقضى أوقات فراغه فى دراسة الفلسفة وهناك تلقى أول دروس العنصرية واتيح له أن يدرس مبادىء « كارل ماركس » ».

***

كان هتلر يرى ان الدور الذى ينبغى أن يقوم به الأقوياء هو أن يتسلطوا ويسودوا لا أن يندمجوا بالضعفاء لأنهم يقضون بذلك على عظمتهم الحقيقية ، وكان يرى أن الضعفاء وحدهم هم الذين يجدون هذا القانون قاسيا ».

ويقول هتلر :

اننا لو درسنا تاريخ هذا الاتجاه لوجدنا انه هو الذى يكفل الاحتفاظ بالأجناس وانه لا يقتصر على مجرد التمييز بين الأجناس من حيث مظاهرها الخارجية فحسب بل وعلى التفرقة بين الخصائص المميزة لكل منها ايضا .

ثم يقول ايضا ولا ريب ان غريزة حفظ النوع هى العامل الأول فى تكوين الجماعات البشرية وعلى ذلك فان الدولة هى مجتمع عنصرى وليست وحدة اقتصادية .

وفى وسعنا أن نستخلص من التاريخ كثيرا من الشواهد التى تؤيد ذلك . فاننا نجد أنه كلما اختلط الآريون بالأجناس التى تقل عنهم فى المرتبة ، كان ذلك مؤذنا بالقضاء على حضارة هؤلاء الآريين . ففى أمريكا الشمالية مثلا حيث تتالف اغلبية الشعب من عناصر جرمانية لم تختلط الا الى حد ضئيل بالعناصر الملونة الأخرى نجد انه قد استطاع أن يقيم حضارة عظيمة ، تختلف كل

الاختلاف عن حضارات أمريكا الجنوبية حيث اندمج المهاجرون الأوروبيون ومعظمهم من العناصر اللاتينية بالوطنيين ولعل فى هذا المثل ما يكفى لاثبات الآثار التى تنتج عن اختلاط الاجناس ويرجع انحلال الحضارات العظمى جميعا الى تسمم الأجناس التى شادت هذه الحضارات بدماء الأجناس الأخرى .

وهنا يصل هتلر الى الهدف الذى يسعى الى تحقيقه فيقول :

ان الجنس الآرى هو الشعلة الالهية للعبقرية ولقد ظل دائما يوقد النيران التى تضىء تحت ستار المعرفة الطريق التى ينبغى عليه أن يسلكها ليصبح سيد الأجناس التى توجد فى هذا العالم .

* * *

ويتخذ هتلر من اليهود نموذجا لعدائه للسامية بشكل عام فيقول :

« ان أبرز الأجناس اختلافا تاما مع الجنس الآرى هم اليهود » .

فما من شعب فى هذا العالم قد نمت عنده غريزة حفظ الجنس نموها عند « الشعب المختار » !

وهو على الرغم من غريزة المحافظة على الجنس لا يدين بالمثالية ولا يعرف التضحية .

ان اليهود لا يكتمون رغبتهم وتطلعهم الى السيطرة على العالم وهم لا يتحرجون فى الكيد والدس لألمانيا : ينخرون عظامها من الداخل ويوجهون اليها دعاياتهم السامة من الخارج ولا يدخرون جهدا فى سبيل النيل منها ومحاولة القضاء عليها .

ولو أن اليهود كانوا وحدهم فى هذا العالم لجعلوا منه مباءة وللأوه بالمبادىء الحقيرة !

ويمضى هتلر فيقول :

ان جميع الألمان يجب أن يدركوا بل يكرسوا حياتهم لا فى سبيل اتحاد البلاد وحفظ الخصائص التى يتميز بها العنصر الالمانى فحسب بل أن يعملوا دائبين على احراز مكان السيطرة على العالم . وان الألمانى الذى يشتغل بتنظيف الطرقات لينبغى له أن يشعر بالاعتزاز بالمانيته . وأن يفخر بها كما لو كان ملكا فى أية دولة أخرى !!

ثم يقول :

ان نظم التعليم والثقافة فى ألمانيا يجب أن تتجه الى غرس بذور الثقة فى نفوس النشء واقناعهم بأنهم اعظم قدرا من الشعوب الأخرى .»

ثورة فى المانيا

ويمضى هتلر فى سرد جزء من تاريخ حياته فيروى كيف انضم الى الفرقة البافارية عندما نشبت الحرب فى عام ١٩١٤ وكيف أصيب فى الحرب وتعرض للغازات السامة ـ ويروى أيضا كيف ظل محتفظا بروحه الوطنية المتأججة وكيف بكى عندما قامت الثورة عقب اعلان الهدنة . ويروى هتلر تفاصيل هذه المرحلة التى أثرت على حياته تأثيرا قويا فيقول :

« انتهت الحرب بعد أن بذلت الطبقة المتوسطة نصيبها من ضريبة الدم التى فرضتها عليها الحرب ، وبعد أن أبدت الطبقة العليا بطولة وتضحية مثاليتين . أما الطبقات الدنيا فقد ظلت بفضل قوانين تناهت فى الحماقة من ناحية وبفضل الافتقار الى تطبيق القوانين العسكرية تطبيقا صارما من ناحية أخرى سليمة لم يلحق بها أذى »

لهذا نشأت هـذه الروح القـذرة التى غلبت على كياننـا الاجتماعى بقيام الثـورة التى ما كانت لتنجح الا لأن العنـاصر الطيبة لم تكن هناك لتقاومها بعد أن فنيت فى الحرب .

وعلى ذلك فليس فى وسعنا أن نصـف الثورة الألمانية بأنها كانت « شعبية » الا فى شىء من التحفظ . ان الشـعب الألمانى نفسه لم يكن هو الذى ارتكب جريمة « قابيل » .

على ان نجاح الثورة فى المانيا يرجع ايضا الى انحلال الجيش ومن المؤكد أن العامل الأول فى الثورة وفى انحلال الجيش لم يكن جندى الميدان وانما كان مرجعه الى تلك الطبقة من الرعاع التى تضـم عشرات الالوف من الثـائرين من الجيش الـذين اداروا ظهورهم للميدان » .

ويقص علينا هتلر عقب ذلك أنباء الفساد الذى اجتاح المانيا عقب نشوب الثورة ثم مولد الحـركة الديمقراطية الاشتراكيـة وما لقيته من صعاب فى بادىء الأمر .

ثم ينحو باللائمة على الحلفاء ويعدد أخطاء معاهدة فرسـاى ويقول : « ان الحلفاء كانت أمامهم فرصة ذهبية لاجتذاب المانيا ولكنهم فضلوا امتهانها واذلالها » .. وهنا يقول :

« ولو اننا درسنا حالة شعوب أوروبا فى ذلك الوقت لوصلنا الى النتائج التالية :

توازن القوى

لقد ظل تاريخ قارتنا الاوروبية خاضعا لنفوذ بريطانيا السياسى بفضل نظام توازن القوى الذى أوجدته ومكن لها من متابعة اهداف السياسية العالمية التى تنظمها الديبلوماسية البريطانية .

أما الاتجـاه التقليدى لهذه الديبلوماسية الذى لا يعدله فى المانيا الا تقاليد الجيش البروسى فقد كان يهـدف دائما منذ عهد

الملكة اليزابث الى غرض واحد هو : **الحيلولة بكل الطرق دون وصول أية دولة أوروبية الى ما فوق مستوى الدول العظمى ولو أدى ذلك الى تحطيمها بقوة السلاح .**

على أن بريطانيا قد خرجت من هذه الحرب دون أن تصل الى تحقيق النتائج التى كانت تسعى اليها فقد أصبحت فرنسا قوة عظمى تسيطر على أوروبا وتتمتع بقوة عسكرية ضخمة وأداة اقتصادية كاملة ، وكل ذلك لا يتفق مع أهداف بريطانيا .

فرنسا .. العدو رقم (١)

ويترك هتلر بريطانيا ليتحدث عن فرنسا العدو رقم (١) لألمانيا فيقول :

ويجب ألا يغرب عن البال أن العدو الألد .. العدو الذى لا يعرف فى عدائه للشعب الألمانى هوادة هو فرنسا ، وستظل فرنسا الى الأبد ، وليس يعنينا فى قليل أو كثير من كان يحكم فرنسا أو من سيحكمها سواء فى ذلك آل بوربون أم اليعاقبة أم الجمهوريون أم حتى البلاشفة .. فان الهدف الدائم لسياستها الخارجية سيظل أبدا هو اتخاذ الراين خطا للحدود وتوطيد أقدام فرنسا على شاطىء هذا النهر فضلا عن توجيه جهودها لتظل ألمانيا ممزقة الأوصال .

الفرق بين بريطانيا وفرنسا

ويقول هتلر :

ان انجلترا ترغب فى الحيلولة دون أن تصبح ألمانيا قوة عظمى ، أما فرنسا فتود الا تصبح هناك قوة تسمى ألمانيا على الاطلاق ، وشتان ما بين الرغبتين ، ولكننا اليوم لا نكافح فى سبيل وجود وطننا ووحدة أمتنا ولكسب قوتنا وقوت أبنائنا ، ولو أننا

استعرضنا القوى التى يمكن ان تتحالف معنا فى ضوء هذه النتائج لوجدنا أنه لا يوجد هناك الا انجلترا وايطاليا .

اما انجلترا فهى لا ترغب فى أن ترى فى مواجهتها جيش فرنسا القوى الذى بقى لها بعد الحرب والذى لاتستطيع قوى أوروبا مجتمعة ان تدفعه .

وهى اكثر كراهية لرؤية موارد أوروبا الغربية من الفحم والحديد وقد اضيفت الى موارد فرنسا الاقتصادية لتلعب دورا خطيرا فى الاقتصاد العالمى .. وهو دور يبدو أشد خطورة بالنسبة لبريطانيا .

ومهما حسنت نيات بريطانيا بالنسبة لفرنسا فليس فى وسعها ان تتيح لها فرصة القيام بالدور الرئيسى فى سياسة أوروبا بفضل المكانة التى أحرزتها وبفضل انهيار أوروبا وتقطيع أوصالها .

أن تفوق فرنسا العسكرى يهدد الامبراطورية العالمية التى تحكمها بريطانيا العظمى .. ومن هنا فان بريطانيا يمكن أن تبدو حليفا طبيعيا لالمانيا .. (وهى حقيقة لم تلبث ان كذبتها الايام . فقد كانت بريطانيا أول الدول التى أعلنت الحرب على المانيا عندما استولى هتلر على ممر دانزيج) .

هتلر معجب بموسولينى

وينتقل هتلر الى الحديث عن ايطاليا فيقول :

أما ايطاليا فانها لا ترغب فى ازدياد نفوذ فرنسا ونمو قوتها اذ أن مستقبل ايطاليا يعتمد على تطورها الاقليمى الذى تتجمع عوامله فى حوض البحر المتوسط .

ومن المؤكد أن السبب الذى دفع ايطاليا الى الحرب لم يكن رغبتها فى العمل فى سبيل عظمة فرنسا .

ولا يسعنى الا أن أشعر بالاعجاب لذلك الرجل العظيم الذى يعمل هناك فى الناحية الأخرى من الألب على مكافحة أعداء بلاده ويسعى لتخليصها منهم . ذلك الرجل هو موسولينى .. القائد الذى وضعته أعماله فى مصاف عظماء الرجال .

نبـــوءة تتحقق

أعجب ما فى انجيل هتلر أنه يتنبأ بالأحداث ، قبـــل وقوعها بسنوات . وبرغم ذلك فانه لا يحسب حسابها عندما تتحقق .. انه يقول فى « كفاحى » :

« أما التحالف مع روسيا فان يكون الا مؤذنا بوشــك وقوع الجرب وبنهاية المانيا فى الوقت نفسه » .

« يقول هتلر ذلك وكأنه كان يقرأ المستقبل فى كتاب مفتوح ولكنه بالرغم من توقعاته لم يتردد فى عقد معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفييتى قبيل الحرب .. وان كان لم يلبث ان خرق هذه المعاهدة وتورط فى حرب كانت نتيجتها كارثة بالنســبة له ولبلاده معــا .

ان « كفاحى » ملىء بالهجوم على الاتحاد-السوفييتى وقادته واتهام اليهــود بالسيطرة على روسيا .. وهو يؤكد انهم لا يرون فى ألمانيا حليفا لهم وان الخطر الذى انزلقت اليه روسيا لا يزال يهدد ألمانيا باستمرار .

ويقول هتلر :

لقد كان الرايخ السابق يتخبط فى علاقاته مع الدول ، على أن الشىء الوحيد الذى لا يمكن أن يلام عليه هو أنه لم يكن على علاقات ودية مع روسيا فما كان لينسى المناورات المستمرة وحشد روسيا لقواتها لغرض واحد هو الاعتداء على ألمانيا .

وهنا يقول هتلر : ولست استطيع أن أنسى الحملات القاسية التى كان يوجهها الراى العام الروسى ضد شعبنا ووطننا حتى قبل الحرب ولا موقف العطف الذى كانت الصحف الروسية تقفه من فرنسا فى الوقت الذى كانت تقف فيه منا موقفا يختلف عن ذلك كل الاختلاف ومع كل ذلك فقد كان هناك طريق آخر قبل الحرب هو أن نعتمد على روسيا وننقلب على انجلترا .

أما الآن فان الظروف لم تعد كما كانت من قبل . واذا كان هناك احتمال بأن نتفق مع روسيا قبل الحرب (الحرب العالمية الأولى) فان هذا الاحتمال لم يعد له موضع الآن .

ان عقارب الزمن لا تزال تتقدم فى ساعة التاريخ وستأتى اللحظة التى يتقرر فيها مصيرنا .

الحركة الاشتراكية الوطنية

فاذا شاءت الحركة الاشتراكية الوطنية أن تقوم أمام التاريخ بدور عظيم وان تضطلع برسالة عظمى لصالح شعبنا فانما ينبغى لها فى المكان الأول أن تتبين حقيقة موقف الشعب الألمانى على هذه الأرض مهما يكن فى مجابهة الحقيقة من ألم ومرارة وأن تكون جريئة فى معالجتها للاضطراب والعجز اللذين كانت تتميز بهما سياسة ألمانيا الخارجية فيما مضى .

ويكشف هتلر عن حقيقة مطامعه فيقول :

انى احذر قومى من المطالبة بحدودنا فى عام ١٩١٤ فان المطالبة باعادتنا الى هذه الحدود هو خطأ سياسى من ناحيتى القياس والنتائج ، بل هو يكاد يصبح جريمة وطنية فان هذه الحدود لم تكن تضم داخلها جميع المواطنين الألمان كما أنها لم تكن مقبولة من الناحية الاستراتيجية .

الاتجاه الى الشرق

فاذا تم لنا استكمال حدودنا الطبيعية التى تجمع كل ألمانيى أوروبا فاننا مع ذلك لا نستطيع أن نقف عند هذا الحد : فان الحق في الحصول على الأرض يصبح واجبا عندما يصبح كيان شعب كبير مهددا بالفناء خصوصا وهو ليس شعبا من الزنوج !! أو انصاف القرود بل هو شعب المانيا ! !

وكذلك يجب أن نعمل نحن الاشتراكيين الوطنيين على تجديد السياسة التى أهملت منذ ستمائة سنة .

وأن نقف تقدم المانيا الأبدى تجاه الجنوب والغرب وان نتحول بأنظارنا الى الشرق .

رحلة فى عقل هتلر

ولعلنا ... وحتى نستكمل صورة الانجيل السياسى الذى كان يمكن ــ لولا بضعة أخطاء وقع فيها أدولف هتلر ــ ان يكون الميثاق الذى يحكم العالم على أساسه طاغية مجنون لم يشأ أن يحرق برلين فقط كما أحرق نيرون روما .. لكنه أراد أن يحرق العالم كله .. أقول لعلنا نحسن صنعا بأن نضيف الى آراء الفوهرر التى اجملناها فيما سبق شرحا لبعض الاتجاهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى كان يؤمن بها .. ويعمل على تطبيقها بل وعلى نشرها فى العالم كله لو قدر له أن ينتصر ..

هتلر والنظام البرلمانى

عن النظام البرلمانى يتحدث هتلر مثلا قائلا :

كنت أعتقد فى البداية أن النظام البرلمانى نظام رائع .. وكان مرجع ذلك الى اعجابى الشديد بالنظام البرلمانى فى انجلترا ...

وعندما دخلت البرلمان النمسوى لأول مرة ، وكنت فى التاسعة عشرة .. لم يلبث هذا الاعتقاد أن تغير ..

ويكشف هتلر عن سر كراهيته للنظام البرلمانى فى موطنه الأصلى (النمسا) فيقول :

لقد زاد كرهى لهذا النظام لأنه لم يكن يتيح للطابع الجرمانى أن يظهر .. لقد كانت هناك أكثرية ألمانية بسيطة لم تلبث أن انعدمت .. ففقد البرلمان طابعه الألمانى ..

ثم يصف هتلر جلسة من هذه الجلسات التى شهدها فيقول :
كان الحوار تافها والخطب التى تلقى لا قيمة لها ..

ويعترف هتلر بأنه لم يكن يفهم ما يقال لأنه لا يعرف اللغة السلافية التى يتكلمون بها .. ومع ذلك فقد سمح لنفسه بأن يحكم على ما يقولون بأنه كلام تافه .

على أن الجدير بالاعجاب أن ذلك الفتى ابن التاسعة عشرة كان يتمتع بقدرة عجيبة واصرار كامل على متابعة أبحاثه .. ظل يتردد على المجلس النيابى أسابيع كاملة .. وكان مما لاحظه أن عدد من يحضرون الجلسات من أعضاء المجلس لا يتجاوزون ثلث الأعضاء .. وأن نصفهم كان يتثاءب ويبدو السأم على وجوههم .. ولا أحد يستمع الى الخطباء الذين يصرخون ويهللون ويضربون الموائد بقبضات أيديهم ..

وعندما تنتهى دراسة أدولف هتلر للنظام البرلمانى من واقع تجربته الشخصية .. لا يلبث أن يصل الى الرأى التالى :

« لقد أدركت أن الديمقراطية فى أوربا الغربية هى بداية الماركسية .. اذ أن الديمقراطية هى الأرض الخصبة التى يمكن لجرثومة الماركسية أن تعيش وتنمو فيها .. »

واذا كان هذا عيبا خطيرا فى نظر هتلر .. فقد كان هناك عيب آخر اشد خطرا ..

وفى هذا يقول هتلر :

« ان البرلمان يتخذ قراراته .. بكل ما قد يترتب عليها من نتائج سيئة دون أن يكون هناك من يتحمل مسئوليتها .. وبالتالى فاننا لا نستطيع ان نحدد المسئولية ولا أن نجد احدا نحاسبه .. »

ولا يتردد هتلر فى أن يصدر أحكاما ضد جماهير الشعب كله .. فهو يقول :

ان مهمة التحدث فى البرلمان تعتمد على اقناع جمهور رؤوس أفراده خاوية كقطيع الغنم .. ثم يتساءل : هل يعتمد تقدم العالم على نتائج تفكير أكثرية برلمانية .. أم على تفوق رجل عبقرى واحد ؟

ومن بعض آراء هتلر فى انجيله السياسى :

- ان النظام البرلمانى يفتح أمام محترفى السياسة المجال لاغراق الحياة السياسية بأحداث صغيرة تافهة .
- ان الانظمة البرلمانية التى تمثل الثرثرة الفارغة تكره الرجل النابغ .
- ان حصول أحد محترفى السياسة على الأكثرية يعنى اعداد عدد كاف من « الشركاء » حتى اذا جاء يوم الحساب استطاع أن يتهرب من كل مسئولية .
- ان الأكثرية تمثل الجبناء والحمقى ..

هتلر والرأى العام

ومن البرلمان .. الى البرلمان الأكبر .. اعنى « الرأى العام » .. وهنا يقول هتلر :

ان الرأى العـام لا يعتمد على الخبرة الشخصية بل يخضع للدعايات ويتـأثر بها .. ولقد رأيت بنفسى كيف تصـدر بعض الصحف وكيف يتميز المشرفون عليها بالقدرة على خـلق تيارات معينـة .. واتجاهات .. بعضها يتعارض مع الصالح العـام ..، وتستطيع الصحف ووسائل الاعلام المختلفة أن تثير قضايا معينة أو أن تسدل الستار على القضايا الهامة التى يهتم بها الشعب ..»

ويقول هتلر ايضا :

ان الدعايات فى كثير من الأحيان يمكن أن تقدم للرأى العـام اشخاصا لا وزن لهم على أنهم ابطال .. اما اذا ارادت الصحـافة محاربة شخص شريف .. فاليهود (وهم الذين كانوا يسيطرون على الصحافة فى النمسا والمانيـا فى ذلك الوقت بما هـو مأثور عنهم من السفالة والانحطاط) يستطيعون وصمه بكل النقائص وتلفيق الأخبار من حوله حتى يتحطم تماما .. ويسقط فى نظر الراى العـام المضلل .

ونحن اذا كنا لا نستطيع أن نصف كل آراء هتلر بالحماقة أو التطرف .. فاننا لا نملك الا أن نعترف بأنه كان محقـا فى بعض آرائه .. ولعل وجه الخطأ فيما كان يدعو اليه انه كان يقفز - ترتيبا على ذلك - الى نتائج ربما لا تتفق مع الواقع ..»

ان الحكم النهائى لا ينبغى أن يكون مبنيا على ظروف استثنائية او على نظام خاطىء .. ان أول ما ينبغى أن نواجه به الأخطاء هو محاولة اصلاحها وليس الغاء النظام كله ترتيبا عليها ..»

أعنى نحن لا نستطيع أن نحكم بفشل التجربة البرلمانيـة لأن هناك نظاما برلمانيا فاسدا فى بلد ما .. ولا أن نلغى وجود الراى العام .. لأن هناك مؤثرات ضارة تستطيع التأثير فيه .»

بل ان هتلر — فيما يتعلق بالرأى العـام — قد اسـتطاع ان يستفيد سنوات طويلة عن طريق خداع الرأى العام .. وايمانه بالدعاية كسلاح فعال فى كل المعارك فى الداخل والخارج ..

ولعل ما فعله وزير دعايته « د . جوبلز » خير شاهد على ذلك .

هتلر واليهود

اذا فرقنـا بين الصهيونية كحركة سياسية قومية .. وبين اليهودية كدين .. فان احد الأخطاء الكبرى التى تردت فيها النازية هى الجرائم الوحشية التى ارتكبها النازى ضد اليهود ..

وهتلر يفرد فى كتابه « كفاحى » فصلا كاملا عن اليهود ، فضلاً عن أنه لا ينسى أن يشـير اليهم فى كل مرحلة من مراحل نموه وتطوره السياسى ..

يقول هتلر :

فى حداثتى كنت أنظر الى اليهود على اعتبـار أنهم مواطنون عاديون .. بل اننى — فى احدى المرات — وبخت أحد زملائى لأنه أهان تلميذاً يهودياً ..

وكنت فى البداية كذلك أعتقد أن الحملات ضد اليهود انما هى نتيجة للتعصب الأعمى ..

ولقد زاد اهتمامى بالمسألة اليهودية فيما بعد عنـدما لمست أسلوب حيـاتهم عن كثب .. وازداد هذا الاهتمـام عقب ظهور الحركة الصهيونيـة .. واذا كان اليهود قد انقسموا حول هذه الحركة فاننى لم البث ان تبينت أن هذا الانقسـام لم يكن غير حركة تهدف الى التمويه .. لقد كانوا يلعبون لعبتهم القذرة فى العالم كله .. وهى لعبة قذرة تعتمد على الكذب والرياء ..

ان قذارة اليهود تصدم الانسـان لأول وهلة .. ولكن هذه القذارة الجسدية لا تعـد شيئا مذكورا اذا هى قيست بقـذارة

نفوسهم .. فان الأيام لم تلبث أن أكدت لى أنه ما من عمل مناف للاخلاق ، وما من جريمة ترتكب فى حق المجتمع .. الا ولليهود يد فيها .. لقد كانت الأصابع اليهودية تمتد كالاخطبوط لتفرض سيطرة اليهود علي كل شيء .. كانت السيطرة اليهودية كالوباء الذى يجتاح كل شيء .. وكانت تسعة أعشار المؤلفات والمسرحيات والكتب تدعو للاباحية .

وكان اليهود حريصين علي السيطرة على الصحف للتأثير على الرأى العام ، وحتى الحركة المسرحية كان يسيطر عليها نقاد يهود .. يرفعون شأن الفنانين والمؤلفين الذين ينتمون الى دينهم ويحطون من قدر الالمان مهما يكن من نبوغهم وعبقريتهم .

ويستطرد هتلر فى حملته على اليهود قائلا :

لقد أثارنى أكثر من أى شيء آخر تكالبهم على الكسب بكل الوسائل واكتشفت أن اليهود هم الذين يسيطرون على سوق الدعارة والاتجار فى الرقيق الأبيض ..

كانوا يقومون بهذا الدور الخطير .. ليس بغية الكسب فحسب .. ولكن لتحطيم الشعب الالمانى وتلويث قيمه .. وهو دور كان اليهود يؤدونه بمهارة لم يفطن اليها أحد .. الا منذ الحرب العالمية الأولى .. لقد شعرت بالتقزز حين اكتشفت أن اليهودى الذى يتظاهر بالوداعة يمارس البغاء ويجعل منه تجارة رابحة .

ويقول هتلر : ولقد مضيت أراقب نشاطهم فظهر لى أنهم يركبون كل موجة .. وأنهم هم الذين يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية ويسيطرون على صحفها ، ويوجهون نقاباتها .. وكان معظم النواب الاشتراكيين يهودا ورؤساء النقابات من اليهود كذلك .. ويختتم هتلر هذا الفصل بقوله :

وهكذا استطعت أن أكتشف الروح الشريرة التى تحول دون تقدم شعبنا ..

واذا كان هتلر قد انتهج سياسة العنف ضد اليهود عندما تولى حكم المانيا .. واذا كان قد تجاوز حدود القيم الانسانية فيما ارتكبه ضدهم من فظائع ..

فقد حاول أن يعزو ذلك الى مشيئة الخالق .. فهو يقول فى انجيله السياسى : **« ان الابدية ستنتقم من الذين يخالفون مبادئها انها مشيئة الخالق .. وسوف اصدع بها .. اننى بدفاعى عن نفسى ضد اليهود انما اناضل فى سبيل ارادة الله وحكمه »** .

هتلر والصحافة

واذا كان هتلر .. منذ البداية .. وكأنه يعد لنظام الديكتاتورية المطلقة الذى جعله أساسا لنظام حكمه فيما بعد .. اذا كان قد هاجم الديمقراطية وقال انها الأساس الصالح لنمو الماركسية التى يكرهها .. واذا كان قد انتقد النظام البرلمانى .. ثم قلل من اهمية الرأى العام لسهولة التأثير فيه بالدعاية .. فقد كانت لهتلر فى حرية الصحافة أيضا .. آراء عنيفة .. قال فى بعضها : ان الصحافة لعبت دورا بارزا فى أبعاد التربية الدينية عن أهدافها السامية ..

وهو يعترف فى نفس الوقت بقوة الصحافة وقدرتها على التأثير .. ومن ثم فقد كان يؤمن بالصحافة الموجهة ..

وهو يقول فى ذلك :

ان الصحافة هى مدرسة الشعب ومهمتها توجيه الرأى العام . وقراء الصحف ينقسمون — فى رأيه — الى اقسام ثلاثة :

١ — الذين يصدقون جميع ما تنشره الصحف .
٢ — الذين لا يصدقون شيئا على الاطلاق .
٣ — الذين يزنون الأمور ويفكرون فيما يقرأون .

ويقول هتلر ان الفئة الأولى من القراء تمثل الأغلبية الساحقة غير المتعلمة والتى تقع فريسة سهلة للآراء المضللة .

والفئة الثانية ـ بفضل الشك الواقع ـ أصبحت لا تصلح لأى عمل ايجابى ..

أما الفئة الثالثة فتمثل قلة من المفكرين والمثقفين الذين لا يسهل خداعهم ، ومن هنا فان هتلر يصل الى الهدف الرئيسى من معالجته لموضوع الصحافة فيقول : ان من واجب الدولة أن تراقب الصحافة نظرا لتأثيرها القوى على الرأى العام .. ان حرية الصحافة معنى جميل .. ولكن هذه الحرية تصبح عاملا من عوامل الفساد اذا لم تمارس فى الحدود التى ترسمها مصلحة الدولة ..

وفى هذا المجال يعود هتلر الى الانحاء على اليهود باللائمة .. فهو يحملهم مسئولية افساد الصحافة ويقول :

ماذا فعلت الدولة حيال الصحافة الماركسية اليهودية التى كانت تخدر الأعصاب بالدعاية للسلام وتشل حيوية الأمة بالدعاية الاباحية المرذولة ؟

هتلر وتربية الشباب

اليهود والماركسية هما سبب كارثة الشعب الالمانى .. فى نظر هتلر .. عندهما تتوقف كل المتاعب .. وهما المسئولان عن كل الأخطاء .. وكتاب كفاحى حافل بالثورة على اليهود والماركسيين أو اليهود الماركسيين فقد كانت الماركسية من صنع اليهود كما يقول هتلر ..

وحين يتحدث هتلر عن الشباب فانه يلوم الحكومة على موقفها منهم .. ويتساءل : ماذا فعلت هذه الحكومة الضعيفة العاجزة ؟..

ان داء الزهرى يفتك بالمواطنين والحكومة عاجزة عن علاجه والأمر لا يتوقف على العلاج .. فماذا يجدى العلاج فى بلد تفشى فيه البغاء ؟ .. ان البغاء يعنى تحويل الحب والعلاقات الجسدية الى صفقات تجارية ، وانتشار البغاء يعنى تراخى العلاقات والروابط الاسرية فتسود الاباحية ويكثر اللقطاء وأبناء السفاح .

ويقــول هتلر الذى يعلى دائمــا من قــدر أبنــاء النبــلاء والبورجوازيين .. ان هــذا الداء الوبيل تفشى حتى فى هــذه الطبقة .. بعد ان انتقلت اليهم العدوى عن طريق علاقاتهم الجنسية مع الموظفات اليهوديات فى المحــال التجارية والأندية .. وكانت النتيجة جيلا من المشوهين الضعفاء ..

ويبدى هتلر رايه فى علاج هذه المشكلة فيقول :

اننا فى حاجة الى اجراءات جريئة لمعــالجة هذه الحال .. والزواج المبكر من أهم الوسائل لمقاومة انحراف الشباب .. ويجب على الدولة أن تشجع هذه الخطوة حتى يجىء الجيل الجديد قويا صحيحا .

ثم يطالب هتلر بتغيير مناهج التعليم .. ويشير الى أهميــة الرياضة كوسيلة لتنشئة جيل قوى روحيا وجسديا ويقول :

ان الشاب الذى يمارس الألعــاب الرياضية يصبح أكثر قوة ومقدرة على كبح جماح غرائزه الجنسية ..

ويضيف هتلر : على أنه يجب أن تتخذ أيضا اجراءات حاسمة لمعالجة الأمراض السرية المتفشية بين أبنــاء الشعب .. انه من الاجرام أن نترك المصــابين بالزهرى ، ممن لا أمل فى شــفائهم يمارسون العــلاقات الجنسية وينقلون هــذا الداء الوبيل الى الأصحاء ..

ان منع هؤلاء المصــابين من ممارسة العلاقات الجنسية هو اجراء انسانى حكيم يهــدف الى التضحية بالبعض فى ســبيل المجموع ..

ويشرح هتلر فى انجيله السياسى النظــرية التى عمد الى تطبيقها فيما بعــد على نطاق واسع وهى نظرية « التعقيم » .. ولقــد توسع فى تطبيق هذه النظرية ولم يكتف بتطبيقهــا على

مرضى الزهرى .. بل طبقها على جميع المشــوهين والضــعفاء والمتخلفين عقليا .
وهو يقول :

انــا يجب ان نعزل هؤلاء المصــابين عن المجتمع تمــاما .. بالقضاء على طاقتهم الجنسية .. واذا كان هذا الاجراء يبــدو وحشيا فانه كفيل بانقاذ الأجيال القادمة .

مصرع هتلر

فى الساعة الثالثة مساء يوم ٣٠ مايو عام ١٩٤٥ أعلن راديو برلين نبأ مصرع أدولف هتلر .

وقال الأميرال « كارل دونيتز » خليفتــه خلال الأيام القليلة التى انتهت بهزيمة المانيا واعتقال الفوهرر الجديد :

« لقد مات الفوهرر أمينا لمثله العليا .. التى عاش لهــا .. ومات من أجلها ميتة الأبطال » .

ولم تنته بمصرعه حرب استمرت خمس سنوات .. لم يكن هتلر مجرد اسم يضيفه التاريخ الى سجلاته .. بل كان ظاهرة مؤثرة .. لو قدر له أن ينتصر لتغير وجه التاريخ .

آخر ما فعله فى حياته أنه تزوج عشيقته ايفا براون .. وحين كانت قنــابل الحلفــاء تدك برلين قررا أن ينتحــرا .. بالســم والرصاص معا ..

وفى اللحظة المتفق عليها ..

دخل هتلر الغرفة التى قرر أن ينهى حياته فيها وسبقته اليها ايفا براون ..

ووقف الحارس أمام الباب ..

ومضت لحظات .. دوت على أثرها طلقة نارية ..

وانتهى فصل طويل من تاريخ العالم .. وبدأ فصل جديد ..



الصين

« ان أولئك الذين لا يحبون الحرب
هم الذين ينتصرون في النهاية »
« مثل صيني »

تخضع الأمم في مختلف مراحل حياتها لقانون خاص من التطور لا سبيل الى نقضه يربط بين ماضيها وحاضرها ويصل حاضرها بمستقبلها، ويجعل من ذلك كله سلسلة متصلة الحلقات ، وشأن الصين في ذلك شأن غيرها من الأمم قد مرت بأدوار مختلفة من التقدم والتأخر وجمعت بين ألوان من الحياة تتسم بالحيوية والازدهار أحيانا وتغرق في الخمول والاضمحلال أحيانا أخرى .

كتب عنها لورد بروفام في عام ١٩٦٢ فقال :

« لا شك أن الامبراطورية الصينية تعد من الظواهر الخارقة في التاريخ الاجتماعي للأجناس البشرية . فان نظامها قد غالب الزمن واستطاع أن يظل طوال القرنين الأخيرين في سلم دائم لا تشوبه شائبة في الوقت الذي كانت فيه أمم العالم تصطرع وتتناحر وتنشر الخراب والدمار في الأرض وتغير مجرى التاريخ بثوراتها المستمرة » .

على أن الباحث المدقق لا يلبث أن يتبين اتجاه القوى الجديدة التي بدأت تعمل في الصين ، ويدرك مدى ارتباط هذه المؤثرات الجديدة بأخلاق الصينيين ، وما يتصفون به من البساطة والصبر

والتحفظ ، ومدى تعلقهم بالأرض وحبهم لها حبا يبلغ حد العبادة ، الى جانب ما يمتـازون به من التسـامح الدينى ، حتى لتعيش الأديان الرئيسية الثلاثة وهى البوذية والتاوية والكونفوشية جنبا الى جنب فى وئام تام .

ولعل أبرز ما تتميز به الصين هو احساس الصينيين بالروابط البشرية التى تعد أساس الحياة الاجتماعية كلها ، ذلك الاحساس الدقيق الذى يحدد حقوق المرء وواجباته ازاء المجتمع ، والـذى يقترن لدى الصينيين باقتناعهم العميق بأن القوانين التى تحدد هذه الروابط هى كما قال أرسطو معلم الانسانية الأول : ((**شريعة مدركة تصدر عن نوع من الفطنة أو التعقل**)) .. ولعل تشوهى كان حريا بأن يضيف الى ذلك قوله : ((**انهـا متحـدة بطبيعـة الأشياء**)) ويرجع نمو تلك الحالة الاجتماعية الى روابط الأسرة التى يكاد احترام الصينيين لها يبلغ حد التقديس ، ويكفى لكى نبين للقارىء مدى تقدير الصينيين لهـذه الروابط ان نقول ان المرء اذا سرق متاعه فى الصين فما عليه الا أن يتصل بكبير اسرة السارق ــ اذا كان يعرفه ــ وهو على ثقـة من أن متاعه سيرد اليه .

ويقترن هذا الشعور عند الصينيين بالأمانة التامة فى المعاملات التجارية ، وهى من أبرز صفات الشعوب التى تدرك أن أسـاس الحياة الاجتماعية هو الثقة المشتركة المتبادلة .

والرجل الصينى جم الأدب بطبيعته ميـال الى التواضـع واحترام الغير ولا يقتصر ذلك على طبقـة من الطبقات وانما هى صفات عامة يشترك فيها الجميـع وليس منشـأ ذلك الشعور بالاحترام وتقدير الغير كلا طبقا لمكانته فى المجتمع فحسـب ، وانما منشـؤه احترام الصينيين للبشرية وللفرد بوصفـه عضـوا من أعضائها .

* * *

لعل القارىء استطاع أن يستخلص من ذلك بعض المبادىء الجوهرية التى يتميز بها المجتمع الصينى ، ومن واجبنا قبل أن نتحول الى ذكر التطورات التى تفاعلت فى الصين ، وكانت أساسا لنهضتها الحديثة ، أن نستكمل المؤثرات التى تأثر بها المجتمع الصينى فى مختلف ادوار حياته . ولو أننا تدبرنا ما عرضنا له من صفات الفرد التى تتلخص فى تقديسه للروابط العائلية وأمانته وتواضعه وبساطته التامة وحيائه الشديد ، لوجب علينا ان نذكر المؤثرات الرئيسية التى لا غنى للباحث عنها لكى تتجمع له فكرة حقيقية عن الشعب الصينى لعلها تختلف اختلافا كبيرا ــ ولا نقول تاما ــ عما كان يخيل اليه من قبل .

* * *

كانت تعاليم الغرب تتسلل فى بطء الى حياة الصين وتمتزج بحضارتها . وكان لا بد أن ينشأ عن ذلك التزاوج بين حضارة الشرق والغرب لون جديد من المؤثرات والعوامل التى تساعد على صنع التاريخ والاتجاه بالأمم الى آفاق جديدة من المثل والمبادىء التى كانت تجهلها من قبل .

وهكذا بدأت الصين ــ متأثرة بهذه القوى الجديدة التى نشأت عن تفاعل الحضارتين ــ سعيها وراء المثل والمبادىء الجديدة ولكنها على العكس من الدول الأخرى لم تتنكر لماضيها ومثلها القديمة بل راحت تحاول أن تمزج بينها وبين حاضرها لتستخلص من ذلك كله دعامة لحياتها المستقبلة الجديدة »

ولم يكد يستدير القرن حتى شهد العالم نتائج الغزو الثقافى للصين فبدأت البعثات والارساليات الأجنبية تفد على البلاد بعد توقيع معاهدة تيانسين فى عام ١٨٦٠ . كما اوفدت الصين نخبة من طلاب العلم فيها لاتمام دراساتهم فى الجامعات الأمريكية واليابانية »

وعندما هاجمت اليابان كوريا فى ١٨٩٥ نشط دعاة الاصلاح الى المطالبة بادخال اصلاحات واسعة ، وسرعان ما نشبت الثورة فى عام ١٩٠٠ فكانت أولى دلالات اليقظة ونضوج الوعى القومى ، وبدات الطبقات المثقفة تتنبه الى ضعف البـلاد والخطـر الذى يتهددها تبعا لذلك فاتجهت الى اصلاح أحوال البلاد والعمل على رفع مستوى المعيشـة وتنظيم الجيش . على أن تلك الفترة من تاريخ الصين لم تشهد كثيرا من الاصلاح واقتصر الأمر على مجرد البحث فى تطبيق النظريات والتماس وسائل العلاج . وفى عام ١٩٠٨ أوفدت الحكومة الصينية بعثة من ابنائها الى أوروبا وأمريكا لبحث النظم الدستورية توطئة لانشاء مجلس تشريعى للبلاد بعد فترة اختبار تستغرق تسع سنوات .

سـون يات صن

ولم يكن فى وسع الثوار ان ينتظـروا تسـع سنوات حتى يشهدوا ثمرة جهودهم الدائبة فبدأوا يعملون ، وبدأ الأمـل فى نجاحهم يزداد بعد أن اتحدت الأحزاب المختلفة تحت لواء حزب الكومنتانج وبعد أن وجدت الزعيم المنشود فى شخص الدكتـور سون يات صن .

وتعد حياة سون يات صن صورة صادقة للاتجاهات والمؤثرات المختلفة التى كان يمتاز بها ذلك العصر .

ولو اننا حاولنا ان نعلل نجاح هذا الزعيم ــ لا فى تحقيق سلامة البلاد ورفاهيتها فحسب ــ وانما فى نشر مبادئه الثورية أيضا لما تيسر لنا ذلك . على أن ما كان يتمتع به من المقدرة وقوة العزيمة والاخلاص للأهداف التى كرس حياته فى سبيل تحقيقها كان خليقا بتمهيد طريق النجاح فى النهاية برغم ما لقيه من النفى والتشريد والاخفـاق وما عاناه من مؤامـرات الأعـداء وخيانة الاصدقاء على السواء .

ولقد كان يقول دائما :

« لقد كرست أربعين عاما من حياتى فى سبيل تحقيق الثورة الوطنية ، تلك الثورة التى تستهدف ضمان سلامة الصين وحريتها. واذا كنا نريد النجاح فيما نحاول فيجب علينا أن نبدأ بايقاظ الشعب ، وأن نتحالف مع الأمم التى تعاملنا على قدم المساواة . وأن نشترك معها فى الكفاح » .

لقد نشبت الثورة وفى عام ١٩١١ أعلنت الجمهورية وتخلصت البلاد من « الأسرة الحاكمة » أسرة « مانشو » التى ظلت تحكم البلاد منذ عام ١٦٩٤ . وعلى الرغم من أن تلك التطورات قد تمت وفقا لارادة الشعب ، فان هذه الارادة لم تكن محددة الى الحد الذى يكفل تنظيم البلاد فتعرضت الصين كغيرها من الأمم لفترة من الاضطراب والفوضى اللذين يعقبان الثورات دائما ، وأصبحت البلاد تحت رحمة الأحزاب المتنافسة تتقاسمها الأهواء والخلافات وتخضع لكل قوة تستطيع أن تجد المال اللازم للانفاق على المحاربين .

وقد اتخذت الجمهورية فى بادىء الأمر مظهر الحكومات الدستورية فانتخبت الدكتور « سون يات صن » رئيسا لها وتألفت الجمعية الوطنية من أعضاء حزب الكومنتانج وزعماء المقاطعات ومنظمى الحزب فى الأقاليم واقتصرت فى تمثيل البلاد على هذا الحد ، ولم تتجاوزه ، وقد دبت الخلافات بين هؤلاء الأعضاء حتى قبل أن تعقد الجمعية أولى جلساتها .

وكان لا بد لتنظيم البلاد من الحصول على تأيد الجيش فاستقال الدكتور سون يات صن وتخلى عن مكانه للجنرال « يوان شيه كان » الذى كان يتولى قيادة فلول جيش الامبراطورية ، وكان الاقدام على هذه الخطوة ذا نتائج سيئة بالنسبة الى الجمهورية فان يوان شيه لم يكن ديمقراطيا وسرعان ما راح يدبر مؤامرة لحل الجمعية الوطنية تمهيدا لتنصيب نفسه امبراطورا .

ومات يوان شيه فى عام ١٩١٦ بعد أن ترك المناطق الشمالية بين أيدى السادة والملاك الذين لا يتسم حكمهم بالروح الدستورية .

ويئس الدكتور يات صن من تطور الحوادث فى الشمال فألف حكومة جديدة فى كانتون ولكنه منى بهزيمة منكرة فاضطر كارها الى مغادرة الصين والالتجاء الى اليابان .

النفوذ الروسى

وعاد الدكتور يات صن الى كانتون فى عام ١٩٢١ فأصبح ذلك التاريخ نقطة تحول اتجهت فيه الصين اتجاها جديدا .. بعد ان التقى الزعيم الصينى بالرفيق جوفيه أحد ممثلى الاتحاد السوفييتى فى شنغهاى ، وعلى الرغم من أن مندوب الحكومة السوفييتية قد اتفق مع الدكتور يات صن على أن البلاد فى حالة لا تتلاءم مع الدعوة الشيوعية فان الأخير تشبع بمبادىء السوفييت كثيرا ،واخذ عنهم من أساليب الدعاية ، والنظم السوفييتية .

ومات الزعيم الصينى فى عام ١٩٢٥ بعد أن تغلغل النفوذ السوفييتى فى البلاد ، وكان الشعب لا يقل حماسة فى استقبال « محررى الشعب » ، وكان من الممكن أن ينجح الشيوعيون فى وضع دعائم مجتمع صينى جديد لو لم يصطدم هذا الاتجاه بعقبات كثيرة أهمها تعارضه مع مصالح الدول الأجنبية فى البلاد .

فلم يكن هناك مفر من ايجاد حل لمسألة رؤوس الأموال والنظم التجارية الأجنبية قبل أن تتحول الصين الى الشيوعية وكان بعض أعضاء الكومنتانج الذين يدينون بالشيوعية على استعداد لاجراء هذه التجربة ، ولكن معظم الأعضاء فضلوا أن

يضعوا حلا وسطا على الطريقة الصينية وكان يرأس هذه الجماعة المارشال شيانغ كاى تشيك ولكنه لم يلبث أن اصطدم بمقاومة شديدة فاضطر الى تحويل جهاده فى سبيل تحرير الشعب من التسلط العسكرى الى محاربة اصدقائه وانصاره القدماء الذين فر بعضهم الى روسيا ، والتجأ بعضهم الى تلال كيانجس .. وهكذا بدأت الحرب الأهلية التى قدر لها ان تستمر عشرات السنين .

الحكومة المركزية

كانت سلطة الحكومة المركزية تعتمد اعتماداً مطلقا على مجرد الادعاء بحقها المكتسب ، وكانت لا تفتأ تصطدم بمعارضة الشيوعيين الذين يؤكدون أنهم أتباع الدكتور سون يات صن الحقيقيون وذلك فضلا عن معارضة القواد وغيرهم ممن يطمعون فى الوصول الى التربع على دست الحكم .

وكان على الحكومة أن تواجه القوى الشيوعية التى كانت مقاومتها لقوات الحكومة التى تفوقها فى العدد والعدة طوال هذه الفترة دليلا على انهم يستمدون قوتهم من قوى الشعب سواء من الناحية العسكرية أم الاقتصادية .

ولم يكن الشيوعيون فحسب هم الذين يناوئون الحكومة بل كانت هناك قوى أخرى . فلم تكد سلطة الحكومة الوطنية تصبح معترفا بها فى الشمال حتى ثار القواد العسكريون فى كوانجس ، وقبل أن يقضى على هذه الثورة كان « فنج هيانج » يرفض اطاعة أوامر نانكنج وكانت كل هذه الحركات تشير الى عجز الحكومة والى ان سلطتها لم تكن فعالة وتتابعت الثورات التى كانت تجتاح البلاد فى اعوام ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٦ وازدادت المشاكل التى كانت تواجه الحكومة المركزية .

تهـــديد اليابان

كانت الصين تسير بخطوات واسعة فى سبيل الاتحاد والتقدم فى مختلف نواحي الحياة ، ولكن ذلك لم يكن ليرضى اليابان التى كانت تتطلع الى تحقيق مطامعهـا وماتسعى اليه من أن تصبح القوة الرئيسية العظمى فى الشرق الأقصى . فقد غـزت اليابان منشوريا عام ١٩٣١ ولم يكن فى وسع الصين أن تقاتلها فلجأت الى عصبة الأمم التى وافقت بعد عام ونصف عام على قرار يقضى باستنكار اعتداء اليابان ، ولكنها أخفقت فى ايجاد حل للمشكلة ، واضطرت الحكومة المركزية التى كانت لا ترغب فى الحرب الى تسوية الموقف بالاتفاق مع اليابان التى أخـذت تبسط نفوذها بعد أن استتب لها الأمر وبعد أن رفضت الحكومة المركزية وعلى رأسها المارشال شيانغ كاى تشيك أن تقاتل اليابان على الرغم مما أبداه الشيوعيون من استعداد للمساهمة فى مقاومة الغاصبين .

الحرب الصينية اليابانية

تعاقبت الأحداث بعد ذلك سريعة متتالية حتى أعلنت الحرب فى ٧ يوليو سنة ١٩٣٧ . وسنحاول هنا أن نذكر العوامل التى أدت الى نشوب هذه الحرب بين هاتين الأمتين اللتين تجمع بينهما روابط مشتركة من الثقافة والدين والتقاليد .

فعلى الرغم من أن اليابان قد أخذت عن الثقافة الصينية فى القرن السادس قبل الميـلاد فان الأمتين كانتـا تختلفان اختلافا جوهريا فى أساس حضارتيهما ونظاميهما . فبينما تتكون الصين من شبكة من القرى والمقاطعات تتمتع بقسط وافر من الاستقلال الذاتى . ولا ترتبط فيما بينها الا بروابط الضرائب وقدر محدود من الاشراف المركزى وتجمع بينها الروابط الثقافية وهى أقوى هذه الروابط جميعا . نجد أن اليابان ، على العـكس من ذلك ، كانت تتبع النظام الاقطاعى تحت ستار برلمان صورى يتبع النظم

الحديثة ولا تكاد تكون له سلطة تنفيذية فعالة وكانت تخضع لزمن من العسكريين الذين لا يعدون مسئولين الا أمام الامبراطور « سليل الشمس » الذى كان يتمتع بسلطة قل أن اتيحت لغيره فى أى جزء من أجزاء العالم .

لم يكن اختلاف الشعبين اليابانى والصينى فى كيانهما السياسى والاقتصادى والثقافى هو السبب المباشر فى نشوب الحرب بينهما ، ولكن اليابان كانت تتطلع الى بسط نفوذها فى الشرق الأقصى وفى التسلط والسيطرة على العالم ، ولم يكن فى وسعها أن تحقق آمالها العريضة بغير استغلال موارد الصين وتنظيمها .

وقد اعرب الجنرال « تاناكا » اليابانى ، فى نداء وجهه الى الامبراطور فى عام ١٩٢٧ ، عن وجهة نظر العسكريين اليابانيين فى قوله :

« لكى نستطيع ان نقهر العالم يجب أن نبدأ بقهر الصين فاذا أصبحت مواردها الغزيرة فى متناول ايدينا اتجهنا بعد ذلك الى غزو الهند وبحار الجنوب وآسيا الصغرى ثم أوروبا أخيرا » .

كانت تلك سياسة اليابان التقليدية وكانت الحرب فى نظر اليابانيين كما وصفها الجنرال « آزاكى » : « مصدر الحياة فهى تبعث فى الفرد القوة على الخلق والابداع » .

وكانت اليابان تواجه فضلا عن ذلك مشاكل متعددة تقتضى علاجا سريعا .

كانت فى حاجة الى منافذ جديدة للتفريج عن بضائعها بعد ان اقفلت الدول الأخرى منافذها وأسواقها فى وجهها .

ولهذا نشبت الحرب .

ولكن اليابان أخطأت التقدير ، وجلبت على نفسها الدمار ؛ فان استعباد ستمائة مليون ليس بالأمر الهين كما كان يخيل الى قوادها وزعمائها من قبل ».

الصين الجديدة

ولقد اقترنت هذه الحركة بكثير من الأحداث والاتجاهات الزائفة . وكان التقدم الذى تحرزه الصين بطيئا فى كثير من الأحيان . والعقبات التى تواجهها مما يتعذر التغلب عليها ، ولكن ضغط الأحداث الخارجية وكذلك تراثها الوطنى الداخلى كان يدفعانها الى الأمام الى الهدف الذى تسعى وراء تحقيقه وهو تدعيم اسس المجتمع الصينى المتحد العظيم .

ولعل القارىء قد استطاع أن يتبين من سير الأحداث فى الصين واتجاه القوى الجديدة أن الصين لم تكن مفككة الاوصال، وان التغيير الذى طرأ لم يكن حادا بالقدر الذى قد يخيل الينا فى بادىء الأمر ، فقد احتفظت الصين بكيانها الاجتماعى لأنه لم يكن مؤسسا على قوانين صارمة يقوم من ورائها امبراطور مطلق التصرف بل على قيم أساسية معينة استطاعت أن تظل منتشرة فى معظم انحاد البلاد حتى فى الوقت الذى تفتقر فيه الدولة الى سلطة الحكومة المركزية ، ولعل أهم العوامل التى ساعدت على حفظ كيان الصين هو عامل الاتحاد .

فلقد كان أكثر ما يرقى اليه طموح قادة الصين قبل نشوب الحرب أن يجدوا نوعا من الحكومات الاتحادية ، اذ كان تيار الخلافات الأقليمية قويا الى حد أصبح معه التفكير فى اتحاد الصين امرا عسيرا بل مستحيلا الا تحت ديكتاتورية دولة أجنبية. أما اليوم فقد خفت حدة الفوارق الدينية والعنصرية والاجتماعية واتاحت الحرب اليابانية للصينيين فرصة لا مثيل لها ليجوبوا انحاء الصين ويدرسوا أحوالها حتى أصبحوا ينظرون الى بلادهم

باعتبارها وحدة لا سبيل الى انقسامها تجمع بينها روابط مشتركة من اللغة والدين والتقاليد .

ديمقـراطية

لكن الاتحاد اذا فرض على الأمة فرضا فانه يؤدى الى نتائج خطيرة مروعة فالى اى حد تتمثل ارادة الشعب فى تقـرير هذه الوحدة ، وهل يمكن ايجاد نوع من الحكم الذاتى الديمقراطى ؟

لقد بينا الأسباب التى تعترض تحقيق مثل هذا الاتجاه وان الاعتقاد فى امكان ايجاد حكومة ممثلة تمثيلا تاما فى دولة لها مثل حجم الصين وعدد سكانها هو اعتقـاد يتميز بالايمـان القـوى المتطرف .. فهل يمكن تحقيق هذه الفكرة فى النهاية ؟

ان هناك من الأدلة ما يبشر بالنجاح .

فان انشاء مجلس الشـعب السياسى يعـد خطوة واسعة فى سبيل تحقيق رغبات الشعب الصينى ومنحه الفرصة للتعبير عن رأيه بحرية . ويتألف هذا المجلس من مائتى رجل وامرأة انتخبوا وفقا لنظام يشبه التحكيم من بين الأشخاص البارزين فى معظـم انحاء البلاد ولكنه يجمع بين خليط من الأعضاء الذين ينتمون الى هيئات وبيئات وأعمال مختلفة .

ولقد كان المعتقد أن هذا المجلس مجرد أداة لتوطيد سـلطة الحكومة ولكنه ما كاد يجتمع حتى أظهر أعضاؤه اهتمامهم بكل كبيرة وصغيرة ورغبتهم الصادقة فى مناقشـة شئون الدولة ، وذلك على الرغم من ان المجلس لا يتمتع بأية سلطة تنفيذية . على ان الديمقراطية لا يمكن ان تعتمد على شكل الحـكومة القـائمة التى تتولى تسيير شئون البلاد ولكنها تعتمد الى حد كبير على روح الشعب ومدى مايبديه من استعداد للأخذ بالنظم الديمقراطية وهى صفات لا تنقص الصينيين بل كانوا يبرهنون عليها دائما فى

كل الاطوار التى مرت بهم فى تاريخهم الحديث حتى لقد كتب البروفيسور جايلز فى عام ١٩١٠ : « عن الديمقراطية العظيمة التى ينتخبها الشعب الصينى الذى يعيش فى اعظم جمهورية عرفها التاريخ » .

ولا ريب فى أن مستقبل الصين يعتمد على هذه الروح الديمقراطية كما يعتمد على روح التعاون أكثر مما يعتمد على أى عامل آخر .

النظام الاقتصادى

تنبهت الأمم الى اهمية الصناعة فشهد عصرنا الحاضر سباقا جبارا بينها فى سبيل نشر الصناعات والسير بها قدما نحو تحقيق سياسة الاكتفاء الصناعى واستثمار موارد البلاد بما يكفل توفير المواد الصناعية الضرورية للاستهلاك المحلى وتصدير الفائض واستبداله بمنتجات الدول الأخرى . وكانت الحرب الصينية اليابانية اول العوامل التى حملت الصين على انتهاج هذا السبيل. فقد كانت فى حاجة الى الآلات والعدد والذخائر وقاطرات السكك الحديدية والسيارات ، وكان لا يسعها أن تعتمد على استيراد كل ما تحتاج اليه من الخارج ، وخصوصا بعد أن أصبحت فى عزلة تامة أو ما يشبه العزلة فاضطرت الى الاعتماد على نفسها وانشاء بعض الصناعات الضرورية . وعلى الرغم من افتقارها الى الآلات والخبراء والأيدى العاملة فقد استطاعت أن تسد بعض أوجه النقص ولم تمض فترة طويلة حتى كانت تنتج اكميات كبيرة من الصلب والآلات الثقيلة والفحم والرصاص والزنك والحديد والذهب وغيرها من المواد اللازمة للصناعات على نطاق واسع فى الأقاليم الغربية وأصلحت الحكومة من الطرق المدمرة وأنشأت شبكة من الطرق الزراعية الواسعة فى جميع أنحاء البلاد .

ولكن الصين على الرغم من ازدياد انتاجهـا الصناعى ظلت مخلصة للأرض التى تعتمد عليها اعتمادا كليا فى تسيير اداتهـا الاقتصادية ولا تدخر الحكومة وسعا فى سبيل تحسين المستوى الزراعى والعمل على النهوض بالزراعة ومعاهد الابحاث لتحسين أنواع الحاصـلات على اختـلاف أنواعها كما توجـه الحـكومة والجمعيات التعاونيـة والهيئات الادارية والرسمية غايتها الى رفع مستوى الشعب والأخذ بالطرق الحديثة فى الزراعة .

* * *

واذا كان ينبغى لنـا أن نقدر أن « ونيفريد جالبرت » كتب ما كتب عن الصين منـذ أكثر من خمسـة وعشرين عاما ، فاننا نستطيع ان نتابع تطور الصين على طريق التقدم منذ ذلك الحين .

وهى مرحلة .. فرضت على العـالم كله منذ انتهت الحرب العالمية الثـانية أن تعترف بالصين كقوة عظمى .. يصل تعـداد شعبها الى أكثر من سبعمائة مليون نسمة .. ويعد نظامها أشـبه بالمعجزة فى هذا العالم الذى تمزقه الثورات والانقسامات ..

لقد دخلت الصين عصر الذرة .. وأصبحت تمثل ثقلا سياسيا فرض على الولايات المتحدة بعـد أن حاولت أن تقف فى طـريقه طويلا .. السعى الى اقامة علاقات جديدة مع دولة المستقبل .



روســــيا الأم

مستر موريس هيندوس الى روسـيا لأول مرة منذ سنوات ليحقق املا تعلقت به نفسه : أن يستمع الى الشعب وهو يتحدث ، الشعب لا كما نعرقه نحن ، وانما كما يعرفه الروس .. وكما يعبرون عنه بكلمة KMUZHI الفلاح ، فالفلاح هو روسيا .. روسيا التى تكد وتكدح وتنتج وتقاتل وتموت .. لا روسيا التى تحتج وتنذر ، وتوقع المعاهدات ، وتدعو السفراء ، وتصـدر التعليمات .

كان ذلك منذ سنوات ..

أما اليوم فقد تغير كل شيء .. اختفت روسيا القديمة بكل ما فيها من فقر ومرض وبساطة ، لتحل محلها روسيا الحديثة .. بآلاتها الضخمة ، وأداتها الاقتصادية الضخمة ، وارادتها الطاغية الجبارة .

اختفى ذلك الفلاح الذى أحبه تولستوى ومجده ، وبكى من أجله ، وصور آلامه وآماله ، وأكبر فيه روح الجلد والكفاح من أجل الحياة .

واصبحت كلمة NARUD : الشعـب ، لا تعنى فى مـدلولها أكثر مما تعنيه كلمةPEOPLE فى الانجليزية .

وعاود مستر هيندوس زيارة روسيا مرارا .

وكان يحرص في زياراته على الاختلاط بالطبقات العاملة وسواد الشعب وكان يقول : « لقد كنت أشعر دائما بأن يوما أقضيه في احدى القرى او دعوة اليها الى تناول الطعام في احد المصانع أفضل من موعد اجتمع فيه بأحد الزعماء على مائدة العشاء أو الغداء في الكرملين » .

وهو عندما يقول أن الروس انما يقاتلون في سبيل مايوجد بين أيديهم ، في سبيل مساكنهم ، ومصانعهم ومزارعهم ، وفي سبيل العمل على تحسين مستوى معيشتهم ، وتدعيم نظامهم الاقتصادي . وعندما يقول انهم يكافحون في سبيل تأمين سلامة حدودهم ، وأنهم لايريدون القتال لمجرد الرغبة في القتال فهو يتحدث عن خبرة لا شك فيها .

الهدم والبناء

يقول مستر هيندوس : ان بين الكتاب والصحفيين والساسة والمراقبين العسكريين والسياسيين ومن اليهم ممن يسعون الى دراسة أحوال الامم من أعمتهم العداوة والبغضاء عن تبين القوى الجديدة التي بدأت آثارها تظهر في روسيا وتمتد الى جميع مرافق الحياة فيها ، وان هؤلاء لا يفتأون يتحدثون عن الارهاب والطغيان وكبت الحريات .

وروسيا ـ شأنها في ذلك شأن جميع الامم التي اجتاحتها الثورات ـ قد شهدت عهدا من الارهاب والفوضى والاضطراب .

لكن الثورة معناها الحرب الأهلية .. والحرب الأهلية اشد ما يمكن أن تمتحن به دولة .. وبخاصة اذا كانت هذه الدولة كروسيا الشاسعة الأطراف المتباعدة الأركان .

فكلما اتسعت رقعة البلاد ، وازداد عدد سكانها ، تعددت مشاكلها العنصرية والقومية وتاججت فيها الثورات بما تستتبعه من ارهاب قد يودى بكثيرين من الابرياء .

وليس لنا أن نتحدث عن ثورة روسيا من ناحية الارهاب فحسب .. فان مثل ذلك كمثل التعرض لثورة كرومويل من ناحية المذابح فى ايرلندا أو الاقتصار فى سرد تاريخ الثورة الفرنسية على الحديث عن الجيلوتين .

ان الكاتب الأمريكى يقص علينا حديثا جرى بينه وبين أحد كبار المسئولين فى موسكو حول وسائل العنف التى لجأت اليها السلطات السوفييتية ابان الثورة .. وكان ما قاله له الزعيم السوفييتى :

« تذكر أنه عندما تنشب ثورة ، فان القتال لا يكون دائما بين حق وباطل .. لكنه يكون بين حق ، وحق : حق جديد ، وحق قديم » .

« ونحن الذين نقاتل فى سبيل الحق الجديد ، لا نرهق أنفسنا كثيرا بالتفكير فى الحق القديم الذى نسعى الى القضاء عليه ، مثلنا فى ذلك كمثل الجندى فى ميدان القتال . لا يستطيع أن يفكر فى حياة عدوه الذى يواجهه .. والا كانت الهزيمة من نصيبه » (*) .

ولو درسنا المراحل التى ينقسم اليها تاريخ النظام السوفييتى وهى : الحرب الأهلية ، والسياسة الاقتصادية الجديدة ، ومشروع السنوات الخمس ، ووضع الدستور ، وفترة التطهير ، ثم الحرب لتبين لنا ان المراحل الخمس الاولى تتميز بالتنكر « للحقوق القديمة » الى حد أثار غضب اولئك الذين لا يرغبون أو لا يستطيعون البحث فى طبيعة الحقوق الجديدة ، ومعناها كما

يفهمه الروس وكما يطبقونه بطريقتهم الخاصة فى جميع مراحل حياتهم اليومية .

فقد ثارت الحرب الأهلية على اثر اعلان ثورة البلاشفة فى ٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ وشهد الروس من ضروب الفظاعة والقسوة ما ترتعد له الفرائص الى أن أتيح للسلطات السوفييتية ـ بفضل الشيوعية العسكرية ـ أن تحشد جميع موارد الدولة ضد الروس البيض .. فتم لها النصر فى النهاية .

وكان المراقبون الأجانب يصورون ثورة البلاشفة فى صورة بشعة اذ لم تكن تعنيهم الاهداف التى يسعون الى تحقيقها .

***

ثم بدأت السياسة الاقتصادية الجديدة بعد أن وضعت الحرب الأهلية اوزارها وخرجت الجيوش البيضاء والجيوش الأجنبية من الأراضى الروسية .

ورأى الرفيق لينين فى مظاهـر الفقـر التى انتشرت بين الروس ما حمله على العودة الى الأخذ بنظام العمـل الفردى فى نطاق ضيق ينحصر فى الفلاحة والتجارة والانتاج المحدود ..

وبدأ تطبيق نظام السـنوات الخمس لأول مرة فى روسيا فكان فى الواقع امتدادا للحرب الأهلية ولكن باسم آخر وبأسلحة جديدة .. وكان الهدف الذى يسعى اليه هو القضاء التام على النظام الذى تشيعه الراسمالية وحظر امتلاك الأراضى ، وفلاحتها الا أن يكون ذلك لصالح الدولة والشعب .

ثم جاء ستالين ، وآنس من الشعب ميلا الى التوانى بعد أن استنفدت الحرب الأهلية جهده ، فنشـط الى استنهاض همته ورفع الروح المعنوية بين صفوف أبنائه فى خطاب رائع استهله بقوله :

« انكم لتتساءلون أحيانا عما اذا كان من الممكن أن نتمهل فى مسايرة الزمن قليلا ، أو أن تؤجل حركة الاصلاح ..

كلا أيها الرفاق ...

أن ذلك مستحيل ... مستحيل أن نقلل من سرعة الزمن أو نستمهله .. بل يجب أن نتعجله بقدر الامكان .

أن التراخى فى الفترة المحددة معناه التأخر ... والمتاخرون يغلبون على أمرهم دائما ...

ونحن لا نريد لأنفسنا الهزيمة .. كلا .. اننا لا نريد ذلك ... لقد كان تاريخ روسيا القديمة سلسلة متصلة الحلقات من الهزائم التى لحقت بها .. أتعرفون لماذا ؟ ... لأنها كانت متأخرة ...

لقد هزمها الخانات المغول ..

وهزمها البكوات الأتراك ..

وهزمها امراء الاقطاع السويديون .

وهزمها الملاك اللتوانيون والبولونيون ..

وهزمها الرأسماليون الفرنسيون والانجليز ..

وهزمها البارونات اليابانيون ..

هزمها الجميع لأنها كانت متأخرة .. متأخرة فى فنون الحرب .. متأخرة فى نظام حكومتها .. متأخرة فى الزراعة .. متأخرة فى الصناعة وفى كل ناحية من نواحى الحياة ..

هزمها الجميع لأن فى هزيمتها منافع لهم .. ولأنهم كانوا يستطيعون أن يفعلوا ذلك فى غير جهد ولا كبير عناء ..

أيها الرفاق !

هل تذكرون كلمات الشاعر نيكولاى نيكراسوف ؟

لقد قال :

أيتها الأم روسيا ....

انك تجمعين بين الغنى والفقر

وتجمعين بين القوة والضعف

ولقد كان أولئك السادة يعرفون ذلك ، فكانوا يهاجمونها وهم يقولون :

انك غنية .. فلنلتمس لأنفسنا الغنى من ورائك .

وكانوا يهاجمونها وهم يقولون : انك فقيرة ، ضعيفة فلا خوف علينا من مهاجمتك ..

وهذا هو قانون الراسمالية : ان تقضى على المتأخر والضعيف وانتم أقوياء وعلى حق فهل تريدون أن تستعبدوا ؟

اذكروا كلمات لينين :

« اما أن نموت ، واما أن نتفوق على الدول الراسمالية .. ان الأمم المتقدمة لتسبقنا بخمسين أو مائة عام ، وعلينا أن نقطع هذه المسافة فى عشر سنوات ، وسنفعل ذلك أو تطؤنا هذه الدول بأقدامها » ..

* * *

وكان البدء فى تطبيق نظام السنوات الخمس ايذانا ببدء حركة الاضطرابات ووقوع المجاعة فى روسيا بين عامى ١٩٣٢ — ١٩٣٣ ، ونشوب المعارك بين منظمى الحزب وأصحاب الأراضى الثائرين .

وفى ضوء هذه الأحداث أصدر العالم الخارجى حكمه على روسيا ظلما وعدوانا .

* * *

وعندما أعيد تطبيق نظام السنوات الخمس للمرة الثانية ، كان يتميز هذه المرة ، وبخاصة فى الفترة الأخيرة منه ، بالتراخى فى السلطات المفروضة على الشعب وارتفاع مستوى المعيشة .

وعندما قال ستالين : « ان الحياة قد أصبحت اكثر بهجة وخيرا مما كانت » ، كان يقرر حقيقة لا سبيل الى الشك فيها .

وفى ظل هذه الحياة الجديدة بدأ الشعب الروسى يتحدث عن الدستور الجديد وتحولت روسيا من فترة الفوضى والاضطراب الى فترة التنظيم والتنسيق والاتزان ومن طور الهدم والتدمير الى طور البناء والخلق والانشاء .

وبدأت البلاد تجنى ثمرة التحول الصناعى وأعلن الدستور الجديد فى ديسمبر عام ١٩٣٦ فى حفل شهده آلاف المراسلين ، وبدأ أفراد الشعب يتطلعون الى حياة رغدة تسودها مبادىء الحرية والاخاء والمساواة .

الحرب

ولكن روسيا شهدت عقب ذلك فترة من أحلك الفترات التى مرت بها فى تاريخها الحديث وعاد الشك والاستنكار يترددان فى صدور أعداء الاتحاد السوفييتى وانصاره على السواء . وازداد العالم الخارجى حقدا عليه عقب توقيع ميثاق عدم الاعتداء بين روسيا والمانيا .. وغير ذلك من الأحداث التى انتهت باعلان الحرب بين الحليفتين المانيا وروسيا .

ولم يكن العالم الخارجى خلال هذه المراحل التى مرت بها روسيا جميعا يرى فيها الا قوة الهدم .. وعلى الرغم من كل

ما تنبأ به لها القواد والساسة من الدمار والهزيمة فقد استطاعت أن تحشد قواها لتجابه ألمانيا وهى فى أقصى قوتها .

فعلت ذلك بمفردها فى الوقت الذى ذلت فيه فرنسا وبريطانيا وتحطمت قواهما تحت وطأة الضربات القاصمة التى وجهتها اليهما أداة الحرب الألمانية الجبارة التى كانت كل مرافق الصناعات في غرب أوروبا وشرقيها تغذيها بالذخيرة والعدة والعتاد .

طور الانشاء

ولقد أعملت روسيا معول الهدم فى كيانها الاقتصادى والاجتماعى القديم وقطعت ما بينها وبين ماضيها ، وراحت تشيد على انقاض ذلك الماضى دعائم حياة اقتصادية وسياسية واجتماعية جديدة .

وبدأت حكومة الشعب حركة الاصلاح بالغاء الفوارق بين الطبقات والمساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات وحظر الملكيات الخاصة وجعل كل المرافق ملكا للدولة .

ولم تلبث بعد ذلك أن وجهت عنايتها نحو نشر الصناعة والتعليم واصلاح وسائل الزراعة فشيدت المصانع فى جميع أنحاء البلاد ، ولم تمض سنون قلائل حتى كانت الصناعات الثقيلة الضخمة التى تشرف عليها الدولة تمتد عبر الأراضى الروسية من أدناها الى أقصاها .. وكان مندوبو الحكومة يشرفون على هذه المصانع ويضطلعون بعبء ادارتها وفقا لنظام دقيق لا تهاون فيه .

وكذلك تحولت الاقطاعيات الزراعية الصغيرة التى كانت تستثمر وفقا للتقاليد الزراعية العتيقة الى مزارع واسعة KOLKHOZ

يبلغ متوسط مساحة كل منها زهاء أربعة آلاف فدان ويتعاون الفلاحون فى زراعتها وفقا لأحدث الوسائل .

وسنت الحكومة تشريعا يفرض على الزراع بيع نسبة معينة من منتجاتهم وغلاتهم الزراعية (من الحبوب والماشية واللبن والبيض والفواكه وغيرها) بثمن تحدده الحكومة كما وضعت حدا أقصى لعدد الماشية التى يجوز للعائلة أن تقتنيها .

وقد كان من نتائج الأخذ بالأساليب الزراعية الحديثة واستخدام الجرارات والآلات البخارية الضخمة وآلات الحصاد ورفع المياه وغيرها على نطاق واسع ، أن ازدادت مساحة الأراضى الزراعية زيادة كبيرة ، وأصبحت الأراضى الروسية تغل اضعاف ما كانت تغله من قبل .. وكانت الحكومة تعمل على تيسير امداد الفلاحين بالمنسوجات والآلات والمنتجات الزراعية الأخرى بثمن زهيد مقابل ما تستولى عليه من غلات الزراع .

أما المصانع فقد عهدت الحكومة بادارتها الى مديرين يعاون كلا منهم ثلاثة مساعدين ، ووكلت اليهم مهمة الاشراف على كل ما يتعلق بها لضمان وفرة الانتاج وحسن سير العمل ورعاية حالة العمال الصحية والاجتماعية وتيسير أسباب الراحة لهم ومدهم بكل ما يعوزهم من وسائل الرياضة والثقافة ، والعمل على رفع مستوى حياتهم المادى والمعنوى وذلك بانشاء المعاهد والأندية الرياضية وبذل العناية الطبية والاهتمام بالمرضى وتزويد المصانع بالماكينات وتنظيم الرحلات والدراسات التى تؤهل العمال المتازين للحياة الجامعية وانشاء مطاعم خاصة تقدم اليهم الأطعمة على اختلاف الوانها بثمن زهيد .

ويبلغ اجر العامل الروسى ROBOCHI أكثر من الفى روبل فى الشهر فى بعض الاحيان .. ويتقاضى العمال اجورهم بنسبة

انتاجهم .. ولعلك تدهش اذا علمت أن اجور بعض العمال قد تزيد على أجر مدير المصنع نفسه .

وتقتطع الحكومة جزءا كبيرا من هذه الاجور باسم الضرائب التي تتعدد وتختلف باختلاف نسبة دخول الأفراد .. وتتبع روسيا نظاما من الضرائب التصاعدية بحيث يتعذر على الفرد مهما يعظم ايراده تكوين ثروة خاصة . كما أن ضريبة الميراث تجعل الأفراد ينصرفون عن اكتناز الأموال والاتجاه الى انفاقها على ضرورات الحياة والكماليات التي حرصت الحكومة على الا تحول دون استمتاع الشعب بها أو في شراء الأسهم والسندات الحكومية التي تغل ارباحا ضئيلة (وهي المظهر الوحيد الذي بقي في البلاد من المظاهر الراسمالية) .

وكثيرا ما يتنازل افراد الشعب عن قيمة هذه السندات للحكومة لتغطية القروض الداخلية أو لانشاء وحدات خاصة من الدبابات والطائرات أو انفاقها على المرافق الاجتماعية والصحية .

وتتعدد الضرائب في روسيا وتختلف انواعها نتيجة ضريبة الدخل وضريبة العمل ونقابات العمال وضريبة الأطفال وهذه الأخيرة تهدف الى حمل الأفراد على كفالة اليتامى بفرض ضرائب كبيرة على كل فرد ذكرا كان أم انثى يبلغ الثامنة عشرة دون أن يتزوج وعلى الأزواج الذين لم ينجبوا أطفالا .

وتستعين الحكومة بهذه الضرائب الى جانب ايراد الدولة الضخم — على تحسين حالة الشعب ورفع مستواه ونشر التعليم ومكافحة الأمية وانقاذ سواد الأمة من ظلمات الجهل .. ويبلغ عدد المدارس الثانوية وحدها وفقا للتعداد الأخير ١٥٫٨٠٠ مدرسة بها قرابة ٣٣٧٫٣٠٠ مدرس وأكثر من اثنى عشر مليونا من الطلاب . وتصدر في روسيا أكثر من ثمانية آلاف وخمسمائة صحيفة يومية يزيد متوسط ما توزعه على ٣٧٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة في اليوم الواحد .

وفى روسيا ٨٦٫٢٠٠ مكتبة عامة تحوى اكثر من ١٦٦ مليونا من الكتب المختلفة بينها اشهر مؤلفات ماكسيم جوركى وجوجول وبوشكين وتولستوى وتورجنيف وبايرون وجوته وهينى وديكنز وشاكسبير وموباسان ومارك توين وبيرل بك وغيرهم من مشاهير كتاب الغرب .

وقد حرصت الحكومة الروسية على العناية بالنشء فشيدت آلاف المعاهد والمدارس ورياض الأطفال فى طول البلاد وعرضها لرعايتهم وحمايتهم من المؤثرات الضارة .

المـــــرأة

وتحتل المرأة فى ظل النظام الجديد مكانا ممتازا يحقق لها ما كانت تتطلع اليه من حقوق ، ويكفل لها المساواة التامة بالرجل فى كل ناحية من نواحى الحياة .

ولقد أتيح للمرأة أن تسهم بنصيب وافر فى تنفيذ مشروع السنوات الخمس ، وكان عدد النساء اللاتى يشتغلن بالصناعة فى عام ١٩٣٩ يزيد على عشرة ملايين امرأة بينهن أكثر من مائة الف من المهندسات .

وعلى الرغم من أن النساء فى روسيا قد اخفقن فى الوصول الى المناصب الادارية الكبرى وفى الاشتراك فى المكتب السياسى ، الذى يهيمن على شئون البلاد فان بعضهن وصل الى منصب القوميسيير الذى يعدل منصب الوزير . كما انهن يمثلن نسبة كبيرة فى مختلف شئون الحياة الاجتماعية والنيابية فلهن ١٨٩ مقعدا فى مجلس السوفييت الأعلى كما ان عدد النائبات الروسيات فى المجالس السوفييتية الجمهورية يبلغ ١٫٤٣٦ ، وفى المجالس السوفييتية المحلية فى المدن والقرى والمقاطعات قرابة ٤٢٢٫٢٧٩ امرأة وتبلغ نسبة النساء بين أعضاء الحزب

السوفييتى ٢٩٪ ويزيد عدد النساء اللاتى يشتغلن بالطب على ١٥٠٠٠٠ امرأة .

وقد أسهمت المرأة الروسية فى الحرب بنصيب وافر اذ بلغ عدد النساء اللاتى خلفن الرجال فى العمل فى المصانع الحربية ثلاثين مليون امرأة لولاهن لعجزت روسيا عن امداد اداتها الحربية بما يعوزها من الرجال والعدة والعتاد لمواجهة قوة عسكرية ضخمة كالجيش الألمانى .

وهكذا اتيح للمرأة أن تكون أول مظاهر التفوق الروسى بعد أن حصلت على حقوقها التى لا تزال المرأة الغربية تسعى وراء تحقيقها فى أرقى دول العالم .

* * *

واذا ما تحدثنا عن دور المرأة فى السياسة والحرب .. فانه لمن الطبيعى بعد ذلك أن ننتقل الى الحديث عن العائلة وعن الأدوار التى مرت بها منذ بدأت روسيا نظامها الجديد .

وهنا لا نلبث أن نجد أنفسنا فى مواجهة قانون الهدم والبناء مرة أخرى وتتمثل لنا حدة التنكر « للحقوق القديمة » فى أشد صورها تطرفا وعنفا .

فقد أعقبت الثورة بعد أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها حركة شديدة التطرف تتجه الى التخلص من روابط الأسرة والتحرر من قيود المجتمع .

ولم يكد الأمر يستتب للسلطة الجديدة حتى أسرعت الى تنفيذ ما تعهدت به من قبل والغت كل قيود الزواج .

واندفعت البلاد فى ظل النظام الجديد الى حد كانت الاسرة فيه مهددة بالانهيار والتفكك . ولكن الطبيعة البشرية كانت أقوى

من كل القوانين الوضعية وبفضل هذه الطبيعة الغريزية نجا نظام الاسرة فى روسيا .

اندفع الجميع فى بادىء الأمر فى غمرة هذا الشعور الجديد بالحرية المطلقة ، ولكن الطبيعة البشرية كانت أقوى ، وسرعان ما تبددت نشوة الحرية وعادت الاسرة الى الاستقرار . وسنت الدولة قوانين جديدة ، ولم يعد من السهل أن ينفصل الزوجان الا ان يكون ذلك لسبب قوى .

ومن الطريف ان القانون الأخير الذى قيد الطلاق واشترط أن تكون له أسباب ومبررات ينص على أن الرجل يجب ان يقوم بدفع نفقات ابنائه الى زوجته المطلقة بنسبة ربع مرتبه ان كان له ولد واحد وثلثه اذا كان له ولدان ونصفه اذا زاد الأولاد عن ثلاثة ، على أن تقوم المراة بدورها بدفع هذه النفقات الى الرجل اذا اشترط أن يعيش الأولاد معه .



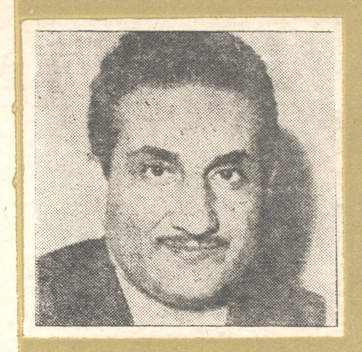
وهكذا عادت الصحف تشيد بالاسرة من جديد وفرضت الدولة مكافأة خاصة للتشجيع على زيادة النسل وتبلغ هذه المكافأة خمسة آلاف روبل تصرف للمرأة لمدة خمس سنوات اذا أنجبت عددا معينا من الأطفال .

ولم يعد من العجيب بعد ذلك أن نرى أركان الأسرة ، وقد توطدت وأصبحت الروابط التى تجمع بين ابنائها أشد مما كانت وأقوى . حتى ليقال أن العائلة والوطن هما الآن أقرب الكلمات الى قلوب ابناء الشعب الروسى .

هذه صورة سريعة مقتضبة للحياة فى روسيا ولنظم التطور فيها منذ سنوات طويلة ، وقد تغيرت كثير من الظروف الآن وان

بقيت حقيقة ثابتة هى أن روسيا تملك الآن من القوة ما يكفى لكى تزج بالعالم فى حرب جديدة ، أو لكى تقوده الى السلم الدائم .

ولعل خير ما قيل فى هذا الصـــدد ما ذكره احـد الساسة المحايدين فى موسكو اذ قال : « اما أن تصل الدول الكبرى الى لغة واحدة من التفاهم .. والا فليساعدنا الله » ...



المؤلف

حيث يعيش الناس فى الكهوف او فى الغابات فاننا نخدع الزمن او نخطىء حسابه حين نضعهم فى نفس الزمن الذى تعيش فيه حضارة القرن العشرين .

لكنهم على اية حال ليسوا فى حاجة الى مئات السنين لكى يقطعوا رحلة التخلف .. ليسوا فى حاجة الى ان يكتشفوا كل ما اكتشفته البشرية أو يخترعوا مخترعاتها من جديد .

فى عشرين او ثلاثين عاما يستطيع طفل ولد فى مجتمع أكلة لحوم البشر ان يصبح عالما ذريا أو رائد فضاء أو مكتشفا أو مخترعا .. لا ياخذ من الحضارة فحسب .. بل يضيف اليها ..